البحث الثامن والعشرون

التحوّل الصوتي عن الفصحى في "العامي الفصيح في المعجم الوسيط"

إعداد الدكتور
محمود عبد الله عبدالمقصود يونس
مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بأسيوط

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اختار العربية لغة لكتابه، فاكتسبت صفة القداسة، وكتب لها الخلود والحفظ بحفظ الله تعالى لكتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانًا، وأعذبهم كلامًا، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار وبعد.

فإنه مما لاشك فيه أن كتب اللغة والمعاجم حفظت لنا التراث العربي على مرّ العصور والدهور والأزمان، والتأليف في المعاجم العربية قديم منذ القرن الثاني الهجري، ولم يتوقف في العصر الحديث والمعاصر؛ حيث عكف خبراؤنا وعلماؤنا في مجمع اللغة العربية في القاهرة على إصدار بعض المعاجم التي ينتفع بها طلاب العلم، وتُلبي حاجات العصر، وما يَجدّ فيه من مستحدثات، ومن بين المعاجم التي أخرجها المجمع القاهري المعجم الوسيط.

والمُتتبّع لحركة الحياة في شتى مجالاتها، يدرك ما بين العاميّة والفصحى من علاقة، تبرز أن كثيرًا من الألفاظ العاميّة تنبع من أصل فصيح، وهذه الألفاظ العاميّة يستعملها العامّة في شتى نواحي حياتهم، ومنها ما يلتبس بالفصحى في الشكل والمعنى.

ومشاركة منه في تضييق الفجوة بين الفصحى والعاميّة، عكف الأستاذ الدكتور أمين علي السيد– رحمه الله– على المعجم الوسيط، فاستخرج منه ما يدخل تحت "العامي الفصيح"، وانتهى من ذلك، وكان يقوم بعرض ما استخرجه من ذلك على مجمع اللغة العربية، وعرض حتى باب الكاف، وقد ظهر لي ذلك مما ذكرته مُقدّمة المعجم؛ حيث قالت: وها هو أستاذنا الجليل الدكتور أمين علي السيد – شفاه الله وعافاه– يُكرِّس وقته الثمين وجهده العظيم؛ ليعكف على تتبُّع الكلمات الفُصحى في لغة العامّة؛ حتى أدرك معظمها وقدَّمها، فَعُرِضت على مؤتمرات المجمع بعنوان: (العامي الفصيح في

---

(١) سورة الحجر الآية رقم ٩

المعجم الوسيط)[1]، وكان هدفه – رحمه الله – رفع مستوى التخاطب، وشعور رجل الشارع بأن كثيرًا مما يتحدث به ينتمي إلى الفصحى، أو له صلة بها، وكان دائم الحلم بأن يخرج نتاجه هذا في صورة معجم، فحققت إدارة الشؤون الثقافية بالمجمع له ذلك، وقامت بإصدار المعجم تحت عنوان" العامي الفصيح في المعجم الوسيط" حسبما أراد له جامعه.

وكان من الواجب وفقًا للعنوان، أن يقتصر ما جاء في المعجم على ما اتفقت فيه الفصحى والعاميّة في كل شيء، من دون أي انحراف أو تحوّل في أي مستوى من مستويات اللغة – في الأصوات والبنية والتركيب والدلالة – عن الفصحى، ولكن ما دُوّن في المعجم الذي وُسم بالعامي الفصيح، حوى كثيرًا من هذه التحوّلات في جوانب اللغة المختلفة.

فقمت – بعد توفيق الله تعالى– على دراسة التحوّل الصوتي في المعجم، فكان عنوان البحث "التحوّل الصوتي عن الفصحى في العامي الفصيح في المعجم الوسيط"؛ من أجل توضيح بعض الخلاف بين نطق العاميّة والفصحى، في هذا الجانب المهم من جوانب اللغة وهو الأصوات؛ لأن أيَّ انحراف أو تحوّل في الأصوات، يُحدِث تشويهًا في صورة الكلمة ونطقها، وهو من وجهة نظري أخطر ما يمكن أن يُصيب الكلمة؛ لأن التحوّل في الأصوات لاشك يُؤَثّر على بقية مستويات اللغة، وحاولت معرفة سبب هذا التحوّل وتفسيره من الناحية الصوتية.

وهي محاولة كانت صعبة، وبخاصة أن هذه التحوّلات كثيرة ومتعددة، ويصعب تصنيفها لتداخلها، وزاد من صعوبتها كثرة التصنيفات التي اشتملت عليها نماذج الدراسة، وقد نهجت في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي القائم على الخطوات الآتية:

- تصنيف كلام صاحب معجم العامي الفصيح بين تحوّل في الصوائت، وثان في الصوامت، وآخر يجمع بينهما وهو التحوّل المقطعي.
- عرْض كلام صاحب المعجم بنصه إذا لم يَطُل، أو بمضمونه إن

(١) ينظر: تقديم معجم العامي الفصيح للأستاذة سميرة شعلان ص ه – و

طال، ونظرًا لكثرة النماذج التي تنطوي تحت ظاهرة واحدة، فإنني اكتفيت ببعض النماذج والأمثلة، وأحَلْتُ إلى أرقام الصفحات في البقية.

❁ إبراز العلاقة الصوتية بين الصوتين، المحوّل والمحوّل إليه، من خلال مصادر التراث اللغوي، ومراجع المُحْدثين، في محاولة للتعرف على سبب هذا التحوّل، وتفسيره من الناحية الصوتية.

❁ الرجوع بالظاهرة المطروحة للدراسة إلى كتب التراث، وكذا كتب اللحن عند الأقدمين؛ لمعرفة إذا كانت واردة عند العرب الأقدمين أم لا؟ ومحاولة الربط، وبيان العلاقة بين الظاهرة قديمًا وحديثًا.

واقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وتعقبهما خاتمة، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وآخر لمحتويات البحث، أما المقدّمة فاشتملت على بيان أهمية الموضوع، ومنهجه وخطته، وأما التمهيد فكان عنوانه "المعجم الوسيط والعامي الفصيح" ، وجاء في قسمين، وقدمت له بتوطئة عن مجمع اللغة العربية وإصدار المعجم الوسيط، ثم جاء القسم الأول، وكان عن ترجمة لصاحب المعجم، والقسم الثاني عن العامي الفصيح، وتناولت فيه بعض أمور منها: بداية التفكير في المعجم عند المؤلف، وهدفه منه، ثم عرّفت العامي والفصيح قديمًا وحديثًا، وعرضت لمراد صاحب المعجم من العامي في معجمه، وبخاصة أنه لم يُفصح عن ذلك؛ حيث إن المعجم لا مقدّمة له، مستعينًا في ذلك بأقوال من قدّم المعجم من هيئة التحرير في إدارة الشؤون الثقافية بالمجمع، مستشهدًا على ما أذكر بأقوال صاحب المعجم نفسه، ثم بيّنت الحاجة إلى دراسة العاميّات والإفادة منها، ثم قمت بعرض وتقويم لمعجم العامي الفصيح، أما المبحث الأول فكان عنوانه" التحوّل في الصوائت" وشمل: كلمة موجزة عن الصوائت بين الثقل والخفة، ثم تمّ تقسيم التحوّل الصوتي في الصوائت على النحو الآتي: الضم في الفصحى والكسر في العاميّة، الكسر في الفصحى والضم في العاميّة، الضم في الفصحى والفتح في العاميّة، الفتح في الفصحى والضم في العاميّة، الكسر في الفصحى والفتح في العاميّة، الفتح في الفصحى والكسر في

العاميّة، التحوّل إلى حركة مماثلة سابقة أو لاحقة، وشمل: التحوّل إلى الكسر، والتحوّل إلى الضم، والتحوّل إلى الفتح، ثم جاء كسر أحرف المضارعة، ثم حذف الحركة، أما المبحث الثاني فكان عنوانه" التحوّل في الصوامت، وشمل تحوّل الأصوات الحلقية، ثم اللهوية، ثم الشجرية، ثم الأسلية، ثم النطعية، ثم اللثوية أو الأسنانية، ثم جاءت المماثلة والإدغام، ثم المخالفة الصوتية، أما المبحث الثالث فكان للتحوّل المقطعي، وشمل: توطئة عن المقطع، وتعريفه، وأهميته، وأنواعه، ثمّ التحوّل المقطعي في العامي الفصيح، ويشمل: نقص عدد المقاطع مع التغيير في أنواع بعض الباقي منها، زيادة مقطع على مقاطع الكلمة، زيادة مقطعين على مقاطع الكلمة مع تغيير في نوع بعض الباقي، تحوّل مقطعي الكلمة المُكَوّنين لها، تحوّل في مقطعين فقط من مقاطع الكلمة، التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مفتوح، التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مغلق، التحوّل من متوسط مفتوح إلى متوسط مغلق، التحوّل من متوسط مغلق إلى قصير مفتوح، التحوّل من متوسط مغلق إلى طويل مغلق، ثم جاءت الخاتمة، وفيها ملخص للبحث وأهم نتائجه، ثم فهرس المصادر والمراجع، وآخر لموضوعات البحث، وأخيرًا أرجو الله العلي القدير أن أكون قد وُفّقت فيما عرضت، وأن يوفقنا جميعًا لما يُحب ويرضى، إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المعجم الوسيط والعامي الفصيح

توطئة: مجمع اللغة العربية وإصدار المعجم الوسيط:

قبل الحديث عن المعجم موضع البحث، أورد كلمة موجزة عن المعجم الوسيط، والذي بنى الدكتور أمين علي السيد معجمه عليه، فقد تم إصدار المعجم الوسيط بناء على اقتراح وزير المعارف محمد عِلي علوبة باشا في ١٩٣٦هـ بأن يُسعف المجمع[١] العالم العربي بمعجم عصري ينتفع به طلاب العلم، ويُلبي حاجات العصر، فاتّخذ المجمع قراره بإنشاء المعجم الوسيط، وأوْكَل مهمة تنفيذه إلى لجنة من علماء اللغة والأدب، ووَضعت هذه اللجنة مواصفات لهذا المعجم سَعتْ إلى تحقيقها، واستعانت بالمختصين في تحقيق ما اعترضها من كلمات مُعرَّبة، وبيان الصلة بينها وبين الكلمات العربية وأخواتها الساميات، كما تناولت اللجنة في المعجم الوسيط الكثير من المصطلحات العلمية، وقامت بشرح أسماء الحيوان والنبات شرحًا علميًا موضحًا ببعض الرسوم، وضَمّ المعجم أيضًا الكثير من ألفاظ الحضارة، والكلمات المولَّدة والمُحْدثة والدخيلة، واستغنت اللجنة عن الحوشي والمهجور من ألفاظ اللغة، واستعانت بالرموز للاختصار، وقد ارتضت اللجنة الترتيب الألفبائي العادي، الذي أخذ به الزمخشري في أساس البلاغة، واستمرّ العمل في المعجم ما يقرب من عشرين عامًا ما بين عامي١٩٤٠- ١٩٦٠م، وصدرت الطبعة الأولى منه في عام١٩٦٠م، ثم طُبع مرة ثانية في عام١٩٦٢م، والثالثة في عام ١٩٨٥م، وفي كل طبعة تقوم لجنة جديدة بمراجعته.[٢]

(١) تم إنشاء مجمع اللغة العربية بمرسوم ملكي في عام ١٩٣٢م، وقد افتتح في ١٩٣٤م، وكان اسمه في البداية: مجمع اللغة العربية الملكي، ثم صار اسمه : مجمع فؤاد الأول للغة العربية، ثم صار اسمه بعد الثورة المصرية: مجمع اللغة العربية. ينظر: المعجم العربي بين التقليد والتجديد، المعجم الوسيط نموذجًا ص١٩٤، مستويات استعمال اللغة العربية ٥٩

(٢) ينظر في إنشاء وإصدار المعجم الوسيط: مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ج٣/٣٣ وما بعدها، مجلة مجمع فؤاد الأول ج٥/٩٠ وما بعدها، مجلة المجمع العلمي الدمشقي مجلد٣٨ ج١/١٦٩ وما بعدها، المعجم العربي بين الماضي والحاضر٢٠٠- ٢٠٥

وبحكم طبيعة العمل البشري، فقد تعرّض عمل اللجنة في المعجم الوسيط بعد إتمامه لجملة من النقود والاستدراكات، ومن أشهر من استدرك على عمل اللجنة في هذا المعجم الدكتور عدنان الخطيب، وكانت استدراكاته بناءً على طلب اللجنة التي قامت بإصدار المعجم الوسيط، ثم ناشدت بعد الانتهاء منه، أهل العلم واللغة والأدب بأن يبعثوا إليها بما يستدركون من نقص أو خطأ؛ حتى يُمكن تداركه في الطبعات اللاحقة، وبدأ الدكتور عدنان عمله بالثناء على اللجنة الموقّرة التي قامت بإصدار هذا المعجم، ثم سجّل استدراكاته في مقالات نشرها المجمع العلمي العربي بدمشق في مجلة المجمع، في سلسلة متتابعة من المقالات ما بين عامي١٩٦٣ – ١٩٦٧ ، كما نشرها في كتابه "المعجم العربي بين الماضي والحاضر"، وكان من منهجه، عرض كلمة المعجم وتعريفها فيه، ثم يُتبعها بما بدا له من ملاحظات(١).

القسم الأول: مؤلف العامي الفصيح

هو الدكتور أمين علي السيد – رحمه الله تعالى– وُلد في محافظة الشرقيّة عام١٩٢٠م، وتخرّج في دار العلوم عام ١٩٤٩م، ثم حصل على الماجستير عام١٩٧٠م، والدكتوراه عام م١٩٧٤، وعمل مدرسًا في كلية دار العلوم، ثم رُقِّي إلى عميد لها من عام ١٩٨٤– ١٩٨٧م، وانتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٧م وتوفي– رحمه الله تعالى– في مارس عام ٢٠٠٩م.

من مؤلفاته: المقتضب للمبرّد دراسة وتحليل ونقد(رسالته للماجستير)، الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو(رسالته للدكتوراه)، في علم النحو، نشر دار المعارف عام١٩٧٢م، في علم الصرف، نشر دار المعارف عام ١٩٧٢م، في علم العروض، نشر دار المعارف عام١٩٩٠م، العامي الفصيح في المعجم الوسيط، ويأتي الحديث عنه، تحقيق كتاب

(١) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد٣٨ ج١/١٦٩- ١٧٢، المعجم العربي بين الماضي والحاضر٦٤- ٨٧

"الواضح في علم العربية لأبي بكر الزبيدي" دار المعارف عام ١٩٧٥م.[١]

القسم الثاني: العامي الفصيح في المعجم الوسيط:

بداية التفكير في المعجم عند المؤلف:

ذكر الدكتور أمين علي السيد أنه ضمن بحوث مؤتمر الدورة السادسة والخمسين عام ١٤١٠هـ -١٩٩٠م في الجزء الأول، وهو الجزء السادس والستون من مجلات المجمع، نُشِر بحث له تحت عنوان :" العامي الفصيح شذور من وحى هذا العنوان"، وقد صدَّر هذا البحث بكلمة موجزة عن نشأة اللغة العاميّة وبعض سماتها، من نُدرة الإعراب، واختلال قواعد التصريف، وحُرية النحت، وإدماج بعض الكلمات في بعض، والمزج بين الكلمات، ومسخ النطق ببعض الحروف، وعدم مراعاة الترتيب عند تركيب الجمل، وغير ذلك من الظواهر، وحين وضع المجمع "العامي الفصيح " ليكون مجالًا لبحث في المؤتمر، اتّجه إلى المعجم الوسيط، واقترح توزيع مادته على السادة أعضاء المجلس الموقر؛ لاستخراج ما فيه من العامي الفصيح، ولما لم يتم هذا، رأى الدكتور أمين أن يبدأ بنفسه بتقديم الموضوع، ثم اتّجه إلى المعجم الوسيط، فقرأ منه أربعة أبواب: باب الهمزة، باب الباء، وباب التاء، وباب الثاء، وأخرج منها المفردات التي توضع تحت عنوان " العامي الفصيح"، وقدّمها للمجمع عام١٩٩٠م، وفي عام ١٩٩١م تقدّم بحرفين وهما: باب الجيم، وباب الحاء، وفي عام ١٩٩٢م تقدّم بأربعة أحرف هي: باب الخاء، وباب الدال، وباب الذال، وباب الراء، وفي عام ١٩٩٣م تقدّم بأبواب هي: الزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، وهي خاتمة الجزء الأول من المعجم الوسيط، ثم عاد في عام ١٩٩٧م ليقدّم أبواب الطاء، والظاء، والعين من المعجم الوسيط، وفي عام ١٩٩٨م تقدّم بباب الغين، وباب الفاء، وفي عام ٢٠٠٠م تقدّم بباب القاف وباب الكاف، راجيًا العون من الله العلي القدير، حتى يتم هذا

(١) ينظر: تقويم دار العلوم، ج٢/٧٤، إعداد لجنة التقويم الطبعة الثانية، كلية دار العلوم

العمل؛ ليكون أساسًا لمُعجم (العامي الفصيح من المعجم الوسيط)، ويبدو- والله أعلم- أن الدكتور رحمه الله أكمل قراءة الوسيط واستخرج العامي الفصيح منه، ولكنه لم يُتم عرضه على المجمع، وانتهى في عرضه إلى باب الكاف، وقد استنتجت هذا من كلام مُقدّمة المعجم حيث قالت: وها هو أستاذنا الجليل الدكتور أمين علي السيد – شفاه الله وعافاه- يُكرِّس وقته الثمين وجهده العظيم؛ ليعكف على تتبُّع الكلمات الفُصحى في لغة العامّة حتى أدرك معظمها وقدَّمها، فَعُرِضت على مؤتمرات المجمع بعنوان: (العامي الفصيح في المعجم الوسيط)، وكان دائمًا يحلم بأن تُجمَع في مُعجم يكون دَفعةً قويةً للعامة للتمسُّك باللغة الفُصحى التي تدور على ألسنتهم، فقامت إدارة التحرير والشؤون الثقافية بإصدار مُعْجمٍ، يحمل العنوان نفسه الذي اختاره الأستاذ الدكتور أمين علي السيد، ورُتِّبت مداخلُه على طريقة المعجم الوسيط؛ حتى يتسنى للقارئ الكريم أن يبحث فيه بسهولة ويُسْر[(١)].

- هدف معجم العامي الفصيح في المعجم الوسيط:

أراد الدكتور أمين رحمه الله أن يستخرج العامي الفصيح في المعجم الوسيط في صورة معجم؛ لغرض كشف عنه، وهو أن هذا المعجم من شأنه أن يرفع مستوى لغة التخاطب، وأن يخلق الثقة في نفس رجل الشارع، وأن يُشعره بأن مفردات كثيرة من لغته تنتمي إلى اللغة العربية الفصحى.[(٢)]

ومن ناحية أخرى سعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى دراسة اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها من الأقطار العربية، وهو المجمع الوحيد الذي اعترف بدور العاميّة في إثراء الفصحى، ومساهمتها في تحقيق التنمية اللغوية.[(٣)]

---

(١) ينظر: مقدمة العامي الفصيح هـ - ز، ا/ سميرة شعلان، وَقَائِع مُؤتَمر مَجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة في الدَّوْرَة السَّادسَة والخمسين ١٩٩٠للدكتور عدنان الخطيب ص ١٠٠

(٢) ينظر: مقدمة معجم العامي الفصيح صفحات هـ - ز للأستاذة / سميرة شعلان

(٣) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية٥٩

- إصدار العامي الفصيح في المعجم الوسيط:

قامتْ إدارة التحرير والشؤون الثقافية بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بإصدار" العامي الفصيح في المعجم الوسيط"، إعداد الأستاذ الدكتور/ أمين علي السيد، ضبطه وأعد مداخله وراجع تجاربه الأستاذة/ سميرة صادق شعلان مدير عام إدارة التحرير والشؤون الثقافية، الطبعة الأولى٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

العامي الفصيح في المعجم الوسيط عرض و دراسة

بين العامي والفصيح:

لا بد في بداية عرض المعجم من تحديد أو تحرير مصطلحي العامي والفصيح؛ لنخلص من ذلك إلى ما أراده صاحب المعجم، فالعامّةُ: خِلَافُ الخاصَّة[١]، وَالْجَمْعُ عَوَامُّ، مِثْلُ دَابَّةٍ وَدَوَابَّ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى الْعَامَّةِ عَامِّيٌّ[٢]، والعامي من الْكَلَام مَا نطق بِهِ الْعَامَّة على غير سنَن الْكَلَام الْعَرَبِيّ، والعاميّة لُغَة الْعَامَّة وَهِي خلاف الفصحى[٣]، وعلّق الدكتور أمين على قول الوسيط عن العامية: "وهي خلاف الفصحى" قائلا: ينبغي إعادة النظر فيه[٤]، والذي يبدو لي أنه ربما قصد أن كثيرًا من كلام العامّة له أصل فصيح، وما كان كذلك لا يكون خلاف ما هو أصله.

أما الفصيح فـ "الْفَاءُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ فِي شَيْءٍ، وَنَقَاءٍ مِنَ الشَّوْبِ، مِنْ ذَلِكَ اللِّسَانُ الْفَصِيحُ الطَّلِيقُ، وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ: الْعَرَبِيُّ"[٥]، "والفَصاحةُ البَيان، فَصُحَ الرجلُ فَصاحة، فَهُوَ فَصِيح مِنْ قَوْمٍ فُصَحاء وفِصاحٍ وفُصُحٍ"[٦]، وَالرجل انْطلق لِسَانه بِكَلَام صَحِيح وَاضح[٧]، والفصاحة اللغوية والنحوية تعني أداء الكلام وفق المعايير النحوية بشكل عام بعدم الوقوع في اللحن[٨]، يقول أحد الباحثين: واللفظ الفصيح ما يُدرَك حُسنه حُسنه بالسمع، وإنسان فصيح: يُحسن البيان ويُميّز جيد الكلام من رديئه، وجملة القول في الفصحى أنها تحرص على صحة اللفظ ووضوحه، بينما تعاني العاميّة من تحريف اللفظ وغموضه، ويمكن أن نلاحظ أن أهم الفوارق بين العاميّة والفصحى تكمُن في تحريف النطق ببعض حروف اللغة، وتغييره

---

(١) ينظر: اللسان (ع م م) ٤٢٦/١٢، القاموس المحيط (ع م) ١١٤١، تاج العروس (ع م م)٣٣ /١٤٩

(٢) المصباح المنير(ع م م) ٢/ ٤٣٠

(٣) المعجم الوسيط(ع م) ٦٢٩/٢

(٤) العامي الفصيح في المعجم الوسيط(ع م) ١٣٣

(٥) مقاييس اللغة(ف ص ح) ٥٠٦/٤

(٦) اللسان (ف ص ح) ٥٤٤/٢

(٧) ينظر: المعجم الوسيط(ف ص ح) ٦٩٠/٢

(٨) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية ٦٨

كليًّا في بعض الأحيان، وإهمال إعراب أواخر الكلمات، وتغيير حركات حروف الكلمة في العاميّة، وهذه الفوارق تؤدي إلى فارق آخر مهم، هو وحدة الفصحى العربية، بينما تتعدد العاميّات العربية بتعدد أنحاء الوطن الكبير واختلاف اللهجات، ولافت أن العاميّة في بلد ما تتفاوت في درجة قربها من الفصحى بين حيّ وآخر، ولافت أيضًا أن هناك تشابهًا بين العاميّات المختلفة في بلاد العرب في جوانب تحوّلها عن الفصحى، صوتيًّا وصرفيًا ونحويًا، وإن ذهب كل منها مذهبه[1]، على أنه ينبغي أن تُحصر كل هذه الفروق بين الفصحى العاميّة المصرية وبين العاميّات في بلداننا العربية، ولا بأس أن تكتب فيها كتب تعليمية للناشئة؛ حتى نُسرع الخُطوات في رفع الحواجز بين عاميّاتنا وبين الفصحى؛ وحتى تُمحى هذه الازدواجية أو الثنائية بين لغة لنا عاميّة نتداولها في حياتنا اليومية، ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية".[2]

ومصطلح العاميّة ليس جديدًا، فرأينا عند القدماء لحن العامة للكسائي ت ١٨٩هـ، ولحن العوام للزُبيدي ت٣٧٩هـ الذي يقول في مُقدّمته: ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وأُفقنا، فرأيت جملًا... مما قد أفسدته العامّة عندنا، فأحالُوا لفظه، أو وضَعوه في غير موضعه، وتابعهم على ذلك أكثر الخاصّة، فرأيت أن أنبّه عليه وأبيّن وجه الصواب.[3]

ونص الزبيدي السابق يُبين لنا أن المراد بالعامّة هم الناس العاديون بدليل مقابلتهم بالخاصة، كما يظهر أن المراد بالعاميّة ليس اللهجة بالاصطلاح المعروف، وإنما المراد بها اللحن، يدل على ذلك ربط مصطفى

(١) ينظر: "الفصحى والعامية اليافاوية تأملات وتساؤلات" للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد٩٠ ص ١٦- ١٧، ألقى هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م

(٢) ينظر: "بين الفصحى والعاميّة المصرية" بحث أعدّه وألقاه الدكتور شوقي ضيف، ضمن وَقائع مُؤتَمر مَجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة في الدَّوْرَة السَّادسَة والخمسين ١٩٩٠م للدكتور عدنان الخطيب ص٩٧

(٣) لحن العوام للزبيدي ٦١ وما بعدها

صادق الرافعي تعريف العاميّة بانتشار اللحن واضطراب الألسنة، فقال في تعريفها: إنها هي اللغة التي خَلَفت الفصحى في المنطق الفطري، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرّف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقوّمة لها، وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنًا في اللغة.(١)

ومن الباحثين من عرّف العاميّة بقوله: هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل، وفي وقت الاسترخاء والعفوية(٢)، وكان اعتماد الأستاذ أحمد رضا في قاموسه رد العامي إلى الفصيح على الكلمات العاميّة عند العوام، كما يلفظونها في موارد استعمالها في مرافق حياتهم بمختلف صناعاتها وحِرفها.(٣)

والعاميّة عند محمود تيمور هي لهجات القبائل، فنراه يقول: العاميّة أقدم من الفصحى، كانت لهجات القبائل والعشائر، والفصحى هي القالب المختار لمختلف اللهجات، واللهجات بقيت تتنقل على ألسنة الناس أشكال اللهجات، كل شكل منها يدعى لغة عاميّة.(٤)

ولا شك أن العاميّة في العصر الحاضر تَعني غير ما عناه محمود تيمور، فالعاميّة الآن قد اعتراها انحراف كبير، حتى وُصفت بأنها فصحى محرّفة؛ نظرًا لما أصابها من تغيير وانحراف، وقد أعدّ الدكتور شوقي ضيف بحثًا بعنوان" العاميّة فصحى محرّفة" ذكر فيه مما ذكر أن الكثرة الغالبة في ألفاظ العاميّة المصرية ألفاظ فصيحة، أو ذات أصل فصيح، إذ أغلب ما فيها من أفعال أو أسماء أو حروف أو حركات أصله فصيح، وعمّت فيه تحريفات.(٥)

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب١٥٢/١، مستويات استعمال اللغة العربية ٩١
(٢) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية ٩١
(٣) ينظر: قاموس رد العامي إلى الفصيح ٨
(٤) مشكلات اللغة العربية ١٥٨
(٥) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (٩١) صـ٣٧، مقدمة معجم العامي الفصيح ص ا

مراد صاحب المعجم من العامي في قوله: العامي الفصيح:

لم يُبيّن لنا صاحب المعجم، أومن قدّم معجمه، ماذا أراد من العامي في العنوان الذي اختاره لمعجمه؟ فالعاميّة فصحى محرّفة كما سبق، وهو ما نراه ونشاهده في واقعنا اليومي من تحريفات فيها على مستويات اللغة الأربعة، فكيف يُسمّي الدكتور معجمه الذي قدّمه للمجمع بالعامي الفصيح؟ فهل كان الدكتور يقصد أن أغلب ما ذكره في معجمه عاميّ فصيح، أو أن جُلّ ما ذكره له أصل فصيح؟ والذي يبدو لي أن الاحتمالين قائمان؛ لأنه يندر ألَّا تكون للفظة عاميّة أصل فصيح، كما أنه ذكر أثناء حديثه عن الألفاظ العاميّة الفصيحة – من وجهة نظره– كَمًّا هائلًا من التحوّل والانحراف عن الفصحى أبان عنه تفصيلًا أحيانًا، وأشار إليه مجرد إشارة أحيانًا أخرى، فكيف يصفها بأنها عاميّة فصيحة، مع ما فيها من تحوّل عن الفصحى؟

والذي يظهر لي بعد قراءة معجم العامي الفصيح أن الدكتور أمين كان يتحدث في معجمه الذي سماه "العامي الفصيح في المعجم الوسيط" عن عاميّة أو لغة المثقفين والمتعلمين وخبراء المجمع من العلماء، مما يدور في نقاشاتهم حول مسائل معينة، وحديثهم مع بعضهم بغير الفصحى، وعاميّة المثقفين هذه هي أحد المستويات الأربعة للازدواجية اللغوية في لغة المجتمع المصري في العصر الحديث(١)، ونعني بعاميّة المثقفين: تلك التي يستعملها المثقفون الذين نالوا حظًا كبيرًا من التعليم، وهي عاميّة متأثرة بالفصحى والحضارة المعاصرة معًا، ومجالها المنتديات الثقافية والعامة، ومجالس المثقفين التي تَطرح موضوعات فكرية وسياسية واقتصادية.(٢)

ولغة المثقفين أو عاميّتهم كثيرًا ما تمزج بين الألفاظ العلمية والعاميّة

(١) المستوى الأول من المستويات الأربعة المذكورة: هو فصحى التراث، وهي لغة الكتب القديمة، المستوى الثاني : فصحى العصر، وهي متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص، ومجالها أوسع من فصحى التراث، المستوى الثالث: عاميّة المثقفين، المستوى الرابع عامية المتنورين، ويستعملها العامّة ممن لهم دراية واطلاع على معطيات الحضارة. ينظر الازدواجية والخطأ اللغوي/ حنان إسماعيل عمايرة ص ٥٨، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٤، العدد١، عام٢٠٠٧م، تصدرها عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية

(٢) ينظر: السابق الصفحة نفسها

والألفاظ الأجنبية، وتفتقر إلى الإعراب، وتخلو من الضبط، ويُسميها بعضهم العربية الوسطى، وهي عربية المتعلمين والمثقفين والمتخصصين في المجالات المعرفية المختلفة، ومواقف الحوار والمشافهة.(١)

ومما يدل على أن الدكتور- رحمه الله - قصد عاميّة المثقفين في قوله : (العامي) – فيما يبدو لي- أنه قد ذكر ألفاظًا عدّها من العامي الفصيح، والحال أن العامّة الذين أعرفهم، ويعرفهم غيري لا يعرفون منها شيئًا، ومن ذلك قوله في (رش ف): رشف الماء ونحوه مصه بشفتيه... العامّة تعرف الرشْف، وتستعمله بمعنى منع البصاق من مغادرة الأنف، فيمصّه بأنفه، وخاصة عند الإصابة بالزكام(٢)، فهل يعرف العوام كلمة الرشف بمعناها المذكور؛ حتى يعدّها من العامي الفصيح؟ والذي يبدو لي أن عاميّاتنا تستعمل في هذا المعنى (شنّ بأنفه) أو (شَفَط بأنفه)؛ لمنع سائل الأنف من النزول، فيسحبه عن طريق الأنف، ومما يدل على أنه يريد بالعاميّة عاميّة المثقفين من أقرانه، قوله في (ر ط م): إنهم – أي العوام- لا يعرفون منها إلا (ارتطم)(٣)، فأيّ عوام هؤلاء الذين يعرفون (ارتطم)، ومَن منهم يقولها هكذا بالصيغة المذكورة؟ فالعوام يقولون في هذا المعنى: (اتصدم)، ومما يدل على ما ذكرت أنه أحيانًا يقول: لم أعرف من العامّة إلا كذا، ومعلوم أن من يتصدى لدراسة العاميّات بمعناها المعروف الذي سبق، لا يتوقف عند ما يعرفه هو، بل يسأل غيره، فدراسته دائمًا ما تكون دراسة ميدانية، وبخاصة إذا أراد بيان ما بين العاميّات والفصحى من صلة ووشائج قربى، وأي صلة وأي وشيجة بين العاميّة والفصحى أكثر وأكبر من الحكم على لفظة عاميّة بأنها فصيحة؟، فالدكتور يقول في(رس خ): لم أعرف من العامي في هذا الأصل إلا تشبيههم للجسم أو الشيء الثقيل بالرسخة بفتحتين(٤)، ولا أدري ما معنى الرسخة التي هي بفتحتين؟ وأية عاميّة هذه

(١) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية ٨٧
(٢) العامي الفصيح٦٢
(٣) العامي الفصيح٦٣ وما بعدها
(٤) السابق٦١

التي تعرف هذه الكلمة؟ وإذا كان لا يَعرف من هذه المادة في العاميّة سوى هذه الكلمة، فإن غيره ربما يعرف غيرها، والذي يبدو لي أن الجامع بين الشيء الثقيل والرسخة هو الثبات، فمادة(ر س خ) تدور حول معنى الثبات[١]، ومما يدل على أنه يتحدّث عن عاميّة الخواص، أنه ذكر أن العوام يعرفون كلمات لا يعرفها إلا الخاصّة من المثقفين كثيري الاطّلاع والقراءة، ومما يدل على ذلك قوله: ومما سُمع على ألسنة العوام قولهم: فلان كله عَجَر وبَجَر، وقولهم: نحن نعرف عَجَره وبَجَره، وهم يقصدون العيوب والمثالب[٢]، وأنا أسأل ما هذا؟ هل يعرف العوام أمثال هذه الكلمات التي عدّها العلماء من غريب الحديث؟ والتي لا يعرف معناها إلا من رجع لشرح الحديث الذي وردت فيه، وهو قول أم زرع: "عجره وبجره"[٣]، في حديثها الطويل الذي فسّره علماء الغريب، ومنهم القاضي عياض[٤]، نعم إن العوام يشتقون من كلمة (عَجَره) كلمة (أعجر)، وسمعتها من الآباء وصفًا للابن الذي إذا أُرسل لمصلحة رجع خائبًا، مما يعدّه العوام عيبًا، لكن أن نقول: إن العوام يعرفون هذه الكلمات التي شغلت حيزًا من كتب الغريب، فهذا ما لا يمكن قبوله! إلا على اعتبار أن مقصده بالعاميّة هي عاميّة المثقفين والخبراء، ومن ذلك قوله: عَفَقَه بالسوط ضربه به[٥]، وأسأل أي عاميّة هذه التي تعرف الفعل عفق؟ إن هذا الفعل لو سُئل متخصص عن معناه، لا يمكنه الإجابة إلا بعد العودة للمعجم، فكيف يُعدّ من العامي، وكيف يعرفه العوام؟، ومما يدل على حديثه عن عاميّة المثقفين، قوله في (ر أ م): لا يعرف العامّة

(١) مقاييس اللغة (ر س خ) ٣٩٥/٢
(٢) العامي الفصيح١١٦
(٣) صحيح البخاري، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ٧ /٢٧، حديث رقم٥١٨٩، صحيح مسلم، باب ذكر حديث أم زرع، ١٨٩٧/٤، حديث رقم٢٤٤٨
(٤) ينظر: مشارق الأنوار ٧٨/١، وللقاضي عياض كتاب في تفسير وشرح حديث أم زرع عنوانه "بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد"، وقد طبعته المملكة المغربية بإشراف من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بتحقيق/صلاح الدين الإدلبي وآخرين
(٥) العامي الفصيح١٢٧

من هذا الأصل إلا الأم الرّؤُوم[١]، فأي عاميّ هذا الذي يعرف كلمة الرؤوم، إلا إذا كان قد سمعها من قَبل من مثقف؟ ومن ذلك قوله في(ر خ م): إن العوام يعرفون الصوت الرخيم.[٢]

فما سبق من نماذج من المعجم، لا تدل بحال على أنه أراد بالعامّة هؤلاء الأشخاص العاديين، الذين يمكن مقابلتهم بالخاصّة، وإنما لا شك عندي أنه أراد بالعامية عاميّة المثقفين، وما ذكرته من شواهد من معجمه تؤيد ما ذهبت إليه.

الحاجة إلى دراسة العاميّات والإفادة منها:

يمكن للباحثين والدارسين الإفادة من العاميّات في دراسة بعض الظواهر اللغوية وتحليلها؛ لمعرفة الصلة والعلاقة بين الألفاظ العاميّة والفصيحة، ولكن لا يُعدّ هذا بديلًا عن دراسة الفصحى، إنما يكون مساندًا لها ومؤيدًا، يعيش في ظله وتحت كنفه، وما يجري بين الفصحى والعاميّات لا يمكن وصفه بأنه صراع، وإنما هو شذوذ وخروج عن الأصل، لا يصعب على الناظر معرفته، ولا مقاومته، ولا إصلاحه، ولا ردّه إلى وجه الصواب والجادة؛ لأن اللغة الموحدة ما زالت حيّة في حياتنا الثقافية وفي كتابتنا، وفي مظاهر الرقيّ والتقدّم، وهي عنوان الثقافة والعلم، والحاجة إليها قائمة؛ لأنها من أهم أسس تحقيق هُويتنا.[٣]

وفي عاميّتنا كثير من ألفاظ الفصحى، والإفادة من ألفاظ العاميّة وأوضاعها، لا يعني فتح الباب على مصراعيه لكل لفظة وعبارة.[٤]

والاهتمام بالعاميّة في الدراسة لا يعني مزاحمة الفصحى، وإنما يعنى ردّ المغترب إلى موطنه؛ ليُردّ إليه اعتباره، كما تهدف دراسة العاميّات إلى رفع الوهم القائم بين الناس، أن ما ينطقه العامّة في شعوبنا خطأ كله، ترفضه

(١) السابق ٥٦
(٢) السابق ٥٩
(٣) ينظر: العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية ١٢٩- ١٣١، ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية للدكتور سليمان العايد
(٤) ينظر: السابق ١٤٤

الفصحى، وينأى عنه الأدباء والكتّاب والمثقفون، كما أن من أهداف دراسة العاميّات، بث الشعور في نفوس العامّة بأنهم لم يَبعدوا في لغتهم كثيرًا عن اللغة التي كان عليها آباؤهم، وفي هذا رفع لمعنوياتهم، وإيقاظ لفضيلة الانتماء في أعماقهم(١)، فالمسافة بين الفصحى والعاميّة ليست بالغة، ولهذا اتُّخذت تدابير للتقريب بين الفصحى والعاميّة، ومن بينها تعميم الفصحى بتفصيح العاميّة، ويكون ذلك بأخذ العاميّة كما هي، وأن تحوّل إلى مقابلها الفصيح بتحقيق أصواتها، وتعديل أبنية الكلمة، وتفصيح تركيب الجملة، ولقد أكّد الباحثون أن نسبة كبيرة من الألفاظ العاميّة من أصل فصيح، أصابها تحريف شكلي، أو تغيير صوتي.(٢)

العامي الفصيح عرض وتقويم:

سبق أن ذكرت أن المعجم الوسيط رتبتّه اللجنة القائمة على إصداره على الألفبائية العادية، وفق ما ذهب إليه الزمخشري في أساس البلاغة، وأن الدكتور أمين علي السيد رتّب معجم العامي الفصيح على نهج الوسيط؛ ليسهل للقارئ تناوله في سهولة ويسر، ولي على معجم الدكتور بعض أمور أجملها في ما يلي:

ا- الذي يبدو لي بعد قراءة معجم العامي الفصيح أنه يجب اقتصاره على ما اتفقت فيه العامية مع الفصحى في الأصوات وما يتعلق بها، وفي البنية، وفي التركيب، وفي الدلالة دون أي تغيير أو تحوّل، وهو كثير في معجم الدكتور؛ وذلك حتى يكون العنوان مناسبًا لما اندرج تحته، ولكن الدكتور ذكر الكثير والعديد من انحرافات وتحوّلات العاميّة عن الفصحى في الأصوات، مما يظهر- بعون الله تعالى- في ثنايا البحث ومباحثه.

ب- يظهر تناقض الدكتور في عدّه بعض الألفاظ داخل معجمه بأنها

(١) ينظر:" العامي الفصيح وحاجته إلى معجم يرده إلى أصوله، حديث أعدّه وألقاه الشيخ الدكتور محمد نايل عضو المجمع من (مصر)، ضمن وَقائع مُؤتَمر مَجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة في الدَّوْرَة السَّادسَة والخمسين ١٩٩٠إعداد الدكتور عدنان الخطيب ص ١٠١، ١٠٢

(٢) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية ٦٠

من العامي الفصيح، وأحيانًا ينبّه على ألفاظ أخرى بأنها غير فصيحة كما في صيغتي (جَرْبانة وجَرْبة) وصفا للأنثى[١]، مع أنه كان يجب وفق العنوان أن يكون جميع ما في المعجم مما اتفقت فيه العاميّة والفصحى؛ حتى تكون تسمية المعجم بالعامي الفصيح موافقة لما في داخله.

ج- يُضفي الدكتور على بعض الألفاظ العاميّة بعض التعديل الصوتي الذي ربما سمعه من العاميّة؛ ليجعلها تتوافق مع صحيح الألفاظ، ومن ذلك قوله: ويقولون: فلان ضيّع تحبيشة العُمر، وهو عربي فصيح[٢]، وما ذكره صحيح في الكلام الفصيح، فتحبّشوا بمعنى تجمعوا، وحبّشت له تحبيشا إذا جمعت له شيئا[٣]، وهي أيضًا التحويشة في الفصحى، فالتحويش التجميع، وقد حوّش إذا جمع[٤]، إذًا فالتحبيشة والتحويشة فصيحة في معنى الجمع والتجميع، ولكنها في العاميّة التحويشة بالواو، والمصريون يعرفون ذلك، فلم أسمع عن أحد أنه نطقها التحبيشة على أن معناها ما جُمع طول العُمر، اللهم إلا إذا كان الدكتور أمين قد سمعها من عوام قد عرفهم، وعرف منهم هذا النطق.

د - وبما أن صاحب العامي الفصيح يتحدث عن عاميّة المثقفين، فهو قد أقرّ في معجمه الكلمات المعرّبة والدخيلة والمولدة والمُحْدَثة والمَجْمَعِيّة، يقول أحد الباحثين: وفي ظن الكثير أن هذا المُتولّد أو المُولَّد الذي أنشأته العامة أولى من إقحام الأعجمي، وإن مسّه التغيير حتى يتلاءم مع نظام العربية في أصواتها وأبنيتها، خاصة ما وضعه أبناء البادية [٥]، وبخاصة أن الذي أدخله اللغويون إلى حرم اللغة متوافق عليه؛ حيث إنه خضع لمقاييس العربية وأوزانها.

والدكتور أمين – وهو عضو المجمع – خالف اللجنة القائمة على

(١) ينظر: العامي الفصيح ١٤
(٢) ينظر: السابق ١٩
(٣) ينظر: تاج العروس (ح ب ش) ١٢٨/١٧، ١٣٠
(٤) ينظر: تاج العروس(ح وش)١٦٦/١٧
(٥) ينظر: العلائق الإيجابية بين الفصحى والعاميّة ١٤٩

المعجم الوسيط في تصنيف بعض الكلمات مما كان من هذا القبيل، فالوسيط صنّف كلمة (الدرابزين) على أنها مَجْمَعِيّة، ويرى الدكتور أنها معرّبة، وينبغي التنبيه عليها في الوسيط، وكذا كلمة (الدردشة) التي صنفها الوسيط على أنها مَولّدة، والدكتور يراها معرّبة وينبغي إعادة النظر فيها [١]، وأحيانا يَفُوت الدكتور الإشارة إلى أن الكلمات معرّبة أو مُحْدَثة على النحو الذي ورد في الوسيط ، وكأنه لا يراها كذلك، ومن ذلك كلمات(الإبريق) و(الإبزيم) و(البرميل) و(البرنامج) و(الطنجرة) فلم يشر الدكتور إلى تعريبها مع أن الكلمات في الوسيط معرّبة[٢]، ومن ذلك قوله: ويعرفون التعشيق، وعشّق الشيء بآخر: أدخل طرف أحدهما في الآخر، والكلمة والتعبير في الوسيط مُحْدَث [٣]، ومن ذلك أنه لم يشر إلى أن كلمة (النَّمْلِيَّة) مَجْمَعِيّة.[٤]

هـ- أبدى الدكتور رغبته في إضافة بعض المفردات والمعاني التي لم ترد في الوسيط، كذلك رغب في حذف بعض الأمور الأخرى مما ورد فيه، فمما رغب في إضافته من الألفاظ كلمة(خباه) بتسهيل الهمزة، وكلمة (الخِتم) بكسر الخاء للذي يُكتب عليه الاسم، ويُتّخذ بدلًا من التوقيع، وكذا مضعّف الفعل (ختن) [٥]، ومما رغب في إضافته من المعاني معنى كلمة(خضّه) عند العوام، بمعنى أفزعه وأزعجه على غفلة منه وسهو، ثم تساءل الدكتور قائلا: هل يمكن أن يضاف هذا المعنى إلى المعجم الوسيط؟ [٦]، ومما ومما غيّره الدكتور خوفًا من اللبس بكلمة أخرى عما ورد في الوسيط قوله: ريّل الصبي سال لعابه (مُحْدَثَة)، وما يسيل يُسمّيه العامّة (رِيَالة)، وقد حذف المعجم الوسيط التاء منها، ثم قال الدكتور: وينبغي إثباتها، أما الرِيال فهو

(١) العامي الفصيح ٤٤ وما بعدها وقارن بالمعجم الوسيط(درا) ٢٧٧/١، (د ر د ش) ٢٧٩

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١، ٥، ١٠٧ وقارن بالمعجم الوسيط٥٢/١، (ط ن ج ر)٢ /٥٦٧

(٣) العامي الفصيح ١٢٢ وقارن بالمعجم الوسيط (ع ش ق)٦٠٣/٢

(٤) العامي الفصيح ٢٣٤ وقارن بالمعجم الوسيط (ن م ل)٩٥٥/٢

(٥) العامي الفصيح ٣١-٣٣

(٦) العامي الفصيح ٣٨

العملة المعروفة في بلاد كثيرة.[١]

و- صحّح الدكتور أخطاء وردت في المعجم الوسيط، ومن ذلك قوله: وفي ص ٣٠١ من المعجم الوسيط[٢] ورد بالسطر الرابع من العمود الثالث عبارة – و – الفرس قصُر وعظُم ظَهْره فهو أدك، وهي دكاء، والجمع دُك[٣]، والصواب في هذه العبارة (و – الفرس قصُر عَظْم ظَهْره) بدون الواو. [٤]

ز- كان يستدرك على المعجم الوسيط بعض الكلمات التي لم يذكرها مما له أصل فصيح، ومن ذلك قوله: والتشهيل والتشهيلات من معجمهم، ولم يُثبتها المعجم الوسيط مع أنها مستعملة كثيرًا، ثم يستدل على أن الكلمات لها أصل فصيح بما جاء في اللسان: الشَّهْلاء الحاجة، يقال: قضيت من فلان شَهْلائي، أي حاجتي، فكأن واضع التشهيلات أخذها من شهلاء، فمعنى التشهيلات قضاء الحاجات وإنجازها.[٥]

ح- يعتمد الدكتور أحيانًا في رصد بعض الكلمات التي اتفقت فيها الفصحى مع العاميّة على غير المعجم الوسيط، وهذا مخالف لعنوان معجمه ظاهرًا، وإن كان ذلك لا يمنع في نظري، ومن ذلك اعتماده على ورود صيغة (دكّن) التي يستعملها العوام على ما جاء في تاج العروس؛ حيث ورد فيه أن دكَن ودكّن بمعنى واحد[٦]، والصيغة بتضعيف عين الكلمة لا توجد في المعجم المعجم الوسيط.

ط- يذكر- قليلًا – كلمات في غير موادها، ومن ذلك أنه ألحق كلمة (الغُدْفة) بنهاية مادة(غ د ر) وذكر بعدها مادة (غ د ي)، نعم إن الترتيب صحيح (غ د ر) ثم (غ دي)، ولكن كان ينبغي أن يضع بين المادتين مادة (

(١) السابق ٧٠ وما بعدها وقارن بالمعجم الوسيط (را ل) ٣٨٦/١، والفعل الفصيح (رال)، وما يسيل وهو اللعاب يقال له: روال بضم الراء وفتحها. ينظر: اللسان(ر و ل) ٢٩٩/١١، تاج العروس١١٠/٢٩

(٢) في طبعة الوسيط التي رجع إليها الدكتور أمين، ولا علم لي بتاريخها؛ لأنه لم يذكرها

(٣) العامي الفصيح ٣٨

(٤) السابق٤٧

(٥) العامي الفصيح٩١ ، وقارن باللسان (ش هـ ل) ٣٧٣/١١

(٦) تاج العروس(د ك ن) ٢٢/٣٥

غ د ف) ومنها الغدفة، لا أن يذكرها في نهاية (غ د ر) مما قد يتسبب في وهم القارئ.

ي- يبدو لي بعد قراءتي للعاميّ الفصيح أن الدكتور كان يقرأ بعض معاني المادة في الوسيط، ثم ينظر ويُعمل فكره ويسأل، هل العوام يستعملون هذا المعنى؟ فيكتشف أنهم يستعملون الكلمة في معنى آخر، فيقوم بتدوينه، ثم يواصل القراءة في المعجم الوسيط، فيكتشف أن المعنى المستعمل في العاميّة فصيح، ولو أنه قرأ المادة بأكملها في الوسيط، ثم نظر فيها في العاميّة؛ لجاءت صياغته للمادة في معجمه أقوى وأفضل، وفي صورة أبهى مما خرجت عليه، ومن ذلك قوله في (ك م د): كمد لونه تغيّر وذهب صفاؤه، أما العوام فإنهم يعبرون بهذه العبارة(فلان كامد) عن الحزن والغم والكرب الذي نزل به، ثم يقول الدكتور: ثم جاء فيه - أي في الوسيط-: كمد الرجل كتم حزنه، أو حزن حزنًا شديدًا فهو كامد.(١)

ك- تحدّث الدكتور عن صيغة فصيحة عاميّة وهي (ميّاس) مبالغة من تميّس، وقد ذكر أن تميّس فلان تبختر واختال، والميّاس صيغة مبالغة منه(٢)، وفي العامية الميّاس هو النصّاب والكذّاب، ولا شك أن المتبختر والمختال من صفاته الكذب.

ل- أكثر الدكتور- رحمه الله تعالى- أثناء شرح المواد اللغوية من ذكر الانحراف والتحوّل اللغوي للعاميّات عن الفصحى، وكان يزاوج بين ذكر الانحرافات تفصيلًا، أو الإشارة إليها أحيانًا، وخاصة إذا كثُر الانحراف في الكلمة الواحدة، كما في التغييرات التي أصابت كلمة (الأُصْبع)، وكلمة (الصدأ) حيث ذكر أن للعامة فيهما تغييرات كثيرة.(٣)

م- على الرغم من كثرة الانحراف والتحوّل الذي أورده للعاميّة عن الفصحى أثناء سرد المواد اللغوية في معجمه، فهو قد أغفل الكثير منها، وعدّ ما ذكره من العامي الفصيح من دون الإشارة إلى ما أصاب الكلمة من

(١) ينظر: العامي الفصيح١٩٨، المعجم الوسيط (ك م د) ٧٩٨/٢
(٢) ينظر: العامي الفصيح٢٢١
(٣) ينظر: السابق٩٤ وما بعدها

انحراف أو تغيير، ومن ذلك كلمة (بُثينة) تصغير بَثْنَة وهي المرأة الحسناء[١]، مع أن كثيرًا من العاميّات المصرية تجعل الثاء سينًا، ومن ذلك كلمة (البارحة) [٢] فالعوام يحرفونها إلى (امبارح) وهذه الكلمة المحرّفة لها أصل فصيح في إبدال لام التعريف ميما في لهجة حمير وغيرها، وتعرف بالطمطمانية[٣]، ونظرًا لكثرة التحوّلات التي لم يذكرها، أُورد الباقي في جدول على النحو الآتي:

المادة اللغوية في معجم العامي الفصيح[٤]	الكلمة كما وردت في معجم العامي الفصيح	موضع الكلمة في العامي الفصيح	تحريف العامّة للكلمة، مما لم يشر إليه صاحب العامي الفصيح
ب ر غ ث	البُرغوث	ص ٥	البَرْغوت بالتاء في الآخر وفتح الباء
ب ر ق ق	البُرقوق	ص ٥	البرءوء في بعض العاميات، والبَرقوق بفتح الباء في بعضها الآخر
ب ع ث ر	يقلبون الثاء تاء	ص ٦	وفي بعض العاميات بحْتر
ث ل ج	الثلج – الثلاجة– مثلج	ص ١٢	التلج، التلاجة، متلج بالتاء
ج ث ث	الجُثّة ويقلبون الثاء	ص١٣	وفي بعض العاميات

(١) السابق٤
(٢) العامي الفصيح ٥
(٣) عزيت إلى حمير في: غريب الحديث لأبي عبيد١٩٤/٤، وفقه اللغة وسر العربية ٩١، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان١٤٨/١، كما عزيت إلى الأزد في: مجالس ثعلب٥٨، وعزيت إلى طيء في: شرح المفصل ٨٦/١، وإلى أهل اليمن في: غريب الحديث لأبي عبيد١٩٤/٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢/٣
(٤) الدكتور لم يذكر المادة اللغوية بحروف متفرقة، وإنما يذكر الكلمة المقصودة مباشرة

المادة اللغوية في معجم العامي الفصيح(٤)	الكلمة كما وردت في معجم العامي الفصيح	موضع الكلمة في العامي الفصيح	تحريف العامّة للكلمة، مما لم يشر إليه صاحب العامي الفصيح
	سينا		**الجِتّــة بكســر الجــيم وبالتاء**
ج ر و	**الجَرو بفتح الجيم**	**ص١٥**	**عنـد كثيـر مـن العـوام بكسر الجيم**
ذ ع ر	**الذّعر– أذعره– انذعر– مذعور**	**ص ٥٢**	**العوام يقلبون الذال زايا**
ش ن ن	**المِشــنَة بكســر المــيم، ونــص علــى أن العــوام ينطقونـها فصيحة بكسر الميم... (مولدة)**	**ص ٩١**	**بعض العوام ينطقونها بفتح الميم**
ع ق د	**العِقد بكسر العين خيط ينظم فيـه الخـرز ونحـوه يحيط بالعنق**	**ص١٢٨**	**العُقد بضم العين**
ك ر ث	**الكرّاث**	**١٩٢**	**الكرات بقلب الثاء تاء**

ولي على الجدول السابق ملاحظتان:

الأولـى: **جميـع مـا فـي الجـدول ممـا حُـرّف أو تحـوّل، ولـم يشـر إليـه الدكتور يخرجه عن إطار الفصحى، كذلك ما أذكره في المباحث التالية مما نص فيه الدكتور على تحريف أو تحوّل العامّة له، سواء كان التحوّل في الأصوات أو في البنية أو في الدلالة، كل ذلك يُخرج الكلمات المحرّفة عن إطار الفصحى، أو على الأقل نقول: فصحى محرّفة كما ذكر الدكتور شوقي ضيف، لا أن نضم المحرّف إلى الفصيح كما فعل صاحب العامي الفصيح.**

الثانيـة: **إن الدكتور كان ينقصه الاستقراء التام للعاميّات؛ حتى يمكنه الحكم على كلمة بأنها عاميّة موافقة للفصحى، وربما كان السبب في ذلك**

اعتماده على عاميّة المثقفين المصريين في معجمه دون غيرهم إلا ما ندر.

ن- اقتصر في غالب ما ذكره على العاميّة المصرية الخاصة بالمثقفين والخبراء - كما ذكرت سابقا- وقليل ما كان يُورِد عاميّات أخرى غير العاميّة المصرية لبعض الكلمات التي ربما قد سمعها في سفره، أو من بعض ضيوفه من غير المصريين، فمما ذكره من عاميّات غير المصريين، قوله في(خ ثّ ر): عامّة مصر لا تعرفها، ولكن بائعة اللبن جاءت بحليب، فطُلب منها غيره، فقالت: أخثره، وعادت بعد قليل، وقد جعلته خاثرًا، ثم قال الدكتور: كان هذا من مدينة الموصل[1]، ومما هو من العاميّات السعودية قوله: (مَرْأب السيارات) لافتة على مكان مهيأ لإصلاح السيارات، رأيتها في شوارع مدينة الرياض بالسعودية. [2]

س- مما يؤخذ على الدكتور بعض الأخطاء، كقوله: المودود من أسماء الله الحسنى[3]، والصواب الودود، ومنها ما كان ينبغي مراجعته على معاجم اللغة؛ حيث ظن أن في الفصحى لغة واحدة للفعل (شَهِقَ) بفتح الأول وكسر الثاني، وأن العامة يفتحون الهاء[4]، والحال أن العامة وافقت إحدى لغات الفعل في الفصحى، فقد ورد أن شَهَقَ، كمَنَعَ وضَرَبَ وسَمِعَ.[5]

(١) ينظر: العامي الفصيح٣٣، وقد جاء في الوسيط(خ ث ر) ٢١٨/١: خثر اللَّبن وَنَحْوه خثرا وخثورا وخثرانا: ثخن وَغلظ
(٢) العامي الفصيح ٥٦
(٣) السابق ٢٤٢
(٤) العامي الفصيح ٩١
(٥) القاموس المحيط(ش ه ق) ٨٩٩، تاج العروس(ش ه ق) ٥٤٠/٢٥

المبحث الأول
التحوّل الصوتي في الصوائت

الصوائت بين الثقل والخفة:

تُشكّل الأصوات المادة الخام التي تتكون منها الكلمات، وربما يطرأ على الأصوات تغيّر أو تطوّر بفعل عوامل مختلفة، ولا ريب أن هذا التغيّر قد صاحب اللغة العربية على مرّ العصور. (١)

هذا، ولم يُعن المؤلفون في العاميات بالحديث عن الانحراف أو التحوّل في الصوائت أو الحركات؛ نظرًا لكثرتها المفرطة، يقول الشيخ أحمد رضا: "ولم أعن بالتحريف في الحركات؛ لأنها فيما أرى أكثر من أن تحصى بين العامي والفصيح". (٢)

ويحسن أن أعرض هنا للحركات من حيث الخفة والثقل؛ لأن العاميّة المصرية بصفة خاصة، واللهجات الحديثة بصفة عامة، تنشد الخفة والسهولة في كثير من ظواهرها، وقد أفصح سيبويه عن خفة الفتحة وثقل كل من الضمة والكسر في أكثر من موضع من الكتاب، فمن ذلك قوله:" الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء" (٣)، فيفهم من كلام سيبويه أن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء، وأن الضمة والواو أثقل الحركات(٤)، وعلّل سيبويه لذلك صوتيًّا فقال: "وإنما خفّت الألف هذه الخفّة؛ لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تحرك أبدًا، فإنما هي بمنزلة النّفَس، فمن ثم لم تَثْقُل ثقل الواو عليهم ولا الياء؛ لما ذكرت لك من خفة مؤنها"(٥)، وذكر الفراء أن الضم والكسر يستثقلان؛ لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين، والفتحة خفيفة؛ لأنها تَخرج من خَرْقِ الفم بلا كُلْفة. (٦)

---

(١) ينظر: مستويات استعمال اللغة العربية١١٩
(٢) ينظر: قاموس رد العامي إلى الفصيح ٩
(٣) الكتاب ١١٥/٤
(٤) ينظر: الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث٨٤
(٥) الكتاب ٤٣٥/٤ وما بعدها
(٦) ينظر: معاني القرآن١٣/٢

وبعض الدراسات الصوتية الحديثة تؤكد ما ذهب إليه سيبويه، فالضمة هي التي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر؛ لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، في حين الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه، واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا في قاع الفم.(١)

ثبت- بما تقدّم- أن أكثر الحركات ثقلًا هي الضمة ثم الكسرة، وأخف الحركات هي الفتحة، ومن هذا المنطلق، فإن العاميّة تنشد الحركة الأخف، فإذا اختارت الفصحى الضم اختارت العاميّة الكسر أو الفتح، وإذا انتقت الفصحى الكسر اختارت العاميّة الفتح وهكذا، وهذا هو الكثير الغالب، ويشذ عن ذلك بعض أمور للعاميّة في اختيار الحركة الأثقل، ويكون ذلك لسبب ربما تفصح عنه الدراسة.

وبعض الدراسات اللغوية الحديثة لا تفرّق بين الحركات القصيرة خفة وثقلًا، وترفض ما ذكره الأستاذ إبراهيم مصطفى في قوله: "الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يُراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك، فهي بمثابة السكون في اللغة العامّة"(٢)، وكان ردّهم عليه بأنه متأثر بما ذهب إليه القدماء في هذه القضية؛ حيث لم يدلّل على مذهبه بأي تجارب شخصية أو مقاييس مخبرية، ويرون أن خفة الحركة أو ثقلها، قد يكون ناتجاً عن بيئة الحركة الصوتية وتفاعلها مع الأصوات السابقة والتالية لها.(٣)

والذي يبدو لي أن كلا الرأيين صحيح – من ارتضى التفريق بين الحركات خفة وثقلًا، ومن لم يرتضه – فالذي ارتضاه كان تعليله مبنيًّا على مقدار الجهد العضلي المبذول في كل حركة، ومن لم يرتض ذلك بنى كلامه على مراعاة البيئة الصوتية للكلمة والجوار الصوتي للحركات، وهذا لا ينفي مقدار الجهد المبذول في كل حركة عن الأخرى؛ لذا أخذت بالرأيين في تعليل

(١) ينظر: في اللهجات العربية٦٤، ٩٦
(٢) ينظر: إحياء النحو٥٠، ٧٨
(٣) ينظر: الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى ١٨٦، الحركة في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية ٩ وما بعدها

تحوّل العاميّة عن الفصحى في الحركات، وبناء على ما سبق يحسن تقسيم تحوّل العاميّة عن الفصحى في الحركات على النحو الآتي:

- الضم في الفصحى والكسر في العاميّة:

وردت أمثلة عديدة في معجم العامي الفصيح في المعجم الوسيط لتحوّل العامية إلى الكسر في بعض الكلمات، في مقابل الضم في الفصحى، وهذا معناه أن العامية قد اختارت الحركة الأخف من الحركتين، تطبيقًا لمبدأ السهولة واليسر، ومن ذلك على سبيل المثال، والجُب يكسرون الجيم ولا يضمونها كما سمعوها في القرآن الكريم(١)، وكذا الجُبّة في الفصحى بضم الجيم وفي العامية بكسرها(٢)، ومنه، والحُجّة في الفصحى الدليل والبرهان وصك البيع والعامّة يكسرون الحاء(٣)، ومن ذلك أمثلة عديدة منها (الحُزمْة) و(الحُلبة) و(حُلو) و(الرُّعاع) و(العُدَّة) و(عَريان) و(عُش) و(الفُجل– وفُجلة) و(الفُضالة)(٤)، وفيما تقدم اختارت الفصحى الضم وهو الأثقل من بين الحركات، في مقابل الكسر الأقل ثقلًا من الضم وهو اختيار العاميّة، يدّل على ذلك قول صاحب العامي الفصيح: وكفة الميزان بكسر الكاف وضمها، ولكن العوام يفتحون الكاف ميلًا إلى أخف الحركات الفتحة.(٥)

الكسر في الفصحى والضم في العاميّة:

اختارت العاميّة في بعض الكلمات الضم الأثقل، في مقابل الكسر الأقل ثقلًا في الفصحى؛ مراعاة لشهرة الصيغة المشتملة على الضم في العاميّة، أو مراعاة للجوار الصوتي، ومن ذلك مما جاء في العامي الفصيح: والحِصان معروف، ولكنهم– أي العامة– يضمون الحاء، فيقولون: حُصان، أو يسكنون

---

(١) ينظر: العامي الفصيح١٣، ووردت كلمة الجُب في سورة يوسف في موضعين أولهما الآية رقم١٠ وهي قوله تعالى: ٱلَّذِى قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ

(٢) ينظر: العامي الفصيح١٣

(٣) ينظر: السابق٢٠

(٤) ينظر: العامي الفصيح على الترتيب ٢٣، ٢٧، ٦٤، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٥٠، ١٥٩

(٥) ينظر: العامي الفصيح١٩٦

الحاء ويجتلبون همزة الوصل، فيقولون: احْصان، أو يبدؤون باللام المكسورة، فيقولون: لِحْصان[١]، وما يعنينا منها في هذا المقام، هو اختيار العاميّة للضم وهو الأثقل في مقابل الكسر في الفصحى وهو الأقل ثقلًا، ومن ذلك، حضَن الشخص أخاه جعله في حِضْنه... والعامة تضم حاء الحضن[٢]، فالعاميّة أيضًا اختارت الضم الأثقل في مقابل الكسر للفصحى، ومن ذلك، والرباط عندهم – أي العوام– بضم الراء والفصيح الكسر[٣] ، ومن ذلك، والرّزمة بضم الراء والفصيح كسرها، وهي ما جمع في شيء واحد يقال: رزْمة ثياب، ورزْمة ورق[٤]، ومن ذلك، الطِّحال معروف عندهم في الإنسان والحيوان، ويضمون الطاء.[٥]

وما تقدّم من أمثلة في هذا القسم أسجل عليه ما يأتي:

ا– إن كلمات(حُصان) و(رُباط) و(طُحال) جاءت على صيغة (فُعال) بضم الفاء، وواضح من الأمثلة أن هذه الصيغة أكثر استعمالًا في العاميّة من صيغة (فِعال) بكسرها، كما أن كلمة (حُضن) على صيغة (فُعْل) بضم الفاء، وهي أكثر استعمالًا في العاميّة من (فِعْل) بكسر الفاء، وكذا الأمر في كلمة (رُزْمة) التي جاءت على(فُعْلة) وهي أكثر استعمالًا في العاميّة من (فِعلة) بكسر الفاء.

ب– الضم في العاميّة متناسب مع بعض الكلمات؛ مراعاة للجوار الصوتي، ففي كلمات (حُصان) و(طُحال) و(حُضْن) فخّمت الضمة تناسبًا مع حروف الإطباق الصاد والطاء والضاد، وهذه الأصوات الثلاثة بالإضافة إلى أنها مطبقة هي مستعلية ومفخمة، وهي صفات قوة يناسبها حركة تجمع بين الثقل والقوة، وهي الضمة التي تكون مفخمة مع أصوات الإطباق[٦]، وهي في الأمثلة الثلاثة السابقة مجاورة لأصوات الإطباق، وفي كلمة (رُباط)؛

(١) ينظر: السابق٢٤ وما بعدها
(٢) ينظر: السابق٢٥
(٣) ينظر: السابق٥٧
(٤) ينظر: العامي الفصيح٦١
(٥) ينظر: السابق١٠٢
(٦) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٩٣

فخّمت الضمة تناسبًا مع حرف الراء المفخم في الأصل، وكذا الأمر في كلمة (رُزْمة)، فالراء مفخمة في أغلب سياقاتها، وذلك إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، أو ساكنة بعد فتح أو ضم، أما الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فترقق.(١)

ج- الضم والكسر متقاربان أكثر من تقارب أي حركتين أخرتين، يقول فيلتشر:" إن الصوت(i) أي الكسرة يُشبه شبهًا كبيرًا الصوت (u) أي الضمة"، فدرجة الشبه بين الضمة والكسرة تزيد على تسعين في المائة، والفرق يكمُن في منطقة تحتوي أقل من عشرة في المائة من الاختلاف، وقد نتج هذا التقارب من ناحية عضوية، هي أن وضع اللسان يكون أضيق ما يكون فيهما، فهو في الكسرة مطبق تقريبًا بجزئه الأمامي على منطقتي اللثة والغار، وهو في الضمة مطبق بجزئه الخلفي على منطقة الطبق، فكمية الهواء التي يسمح لها بالانطلاق في هاتين الحالتين تكاد تكون مستوية، ولكن شكل غرفة الرنين في الفم هو الذي يحدث الفرق بينهما في الطابع(٢)، وكل من الكسرة والضمة يرتفع اللسان معهما إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه نحو الحنك الأعلى، بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أيّ نوع من الحفيف(٣)، والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان؛ لأنهما من أصوات اللين الضيقة.(٤)

ومما تقدم يتبيّن أن العامية المصرية قد زاوجت بين اختيار الكسر والضم، فهي تختار الكسر؛ لأنه الأقل ثقلًا في مقابل الضم في الفصحى الأكثر ثقلًا، وأحيانا تختار الضم الأثقل في بعض الكلمات، مراعاة لشهرة صيغة فيها، أو بسبب الجوار الصوتي، وربما تكون البيئة العاميّة في اختيارها للضم متأثرة بالبيئة البدوية القديمة التي تختار الضم؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، فحيث كسرت القبائل المتحضرة، وجدنا القبائل

(١) ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث١٢٧
(٢) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٣٧٦ وما بعدها
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية٣٣ وما بعدها
(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٤٣ وما بعدها، في اللهجات العربية٦٩

البدوية تضم.[١]

الضم في الفصحى والفتح في العاميّة:

اختارت العاميّة الفتح الخفيف في مقابل الضم الأكثر ثقلًا في الفصحى، ومن ذلك كلمات (البُهلول) و(الخُرشوف) و(الخُرطوم) و(السُّحْتوت) و(الشُّمروخ) و(الشُّملول) و(العُرقوب) و(فُرْطوسة الخنزير) و(الفُرفور) بمعنى الشاب اليافع و(فُرهود) و(القُرموط)[٢]، ومما تقدّم يظهر أن العاميّة قد اختارت الحركة الأخف وهي الفتح، في مقابل الضم وهي الحركة الأثقل في الفصحى، ولا حرج في اختيار العاميّة للحركة الخفيفة عملًا بمبدأ السهولة واليسر.

الفتح في الفصحى والضم في العاميّة:

اختارت العاميّة الضم وهو الحركة الأثقل في مقابل الفتح وهو الخفيف؛ نظرًا لكون الصيغة المشتملة على الضم أكثر في العاميّة، ومن ذلك كلمات جاءت على صيغة (فَعَال) بفتح الفاء والعين في الفصحى، واستعملت في العاميّة على (فُعَال) بضم الفاء، والصيغة بضم الفاء أكثر استعمالًا في العاميّة من فتحها، ومما جاء في العامي الفصيح من ذلك كلمات(البهار) و(الخَشاش) و(الخَلْخال) و(الزَّمارة)[٣]؛ فهي في العاميّة بضم أوائلها؛ لشهرة الصيغة، واستخدمت العاميّة صيغتي(فُعْلة) و(فُعْل) بضم الفاء، وهما الأكثر استعمالًا فيها من(فَعْلة) و(فَعْل) بفتح الفاء فيهما في الفصحى، ومن ذلك (الضَّرة) للزوجة الثانية، وكلمة (الظَّرْف) وكلمة(الكَعْب) بمعنى القدَح [٤]، وفي الأمثلة المتقدمة اختارت العاميّة الحركة الأثقل وهي الضم؛ نظرًا لشهرة الصيغة المشتملة على الضم فيها، ولكونها أكثر استعمالًا من الصيغة المشتملة على الفتح، كما هو واضح من الأمثلة والنماذج.

وقد تختار العاميّة الضم الأثقل في مقابل الفتح الخفيف؛ مراعاة للجوار

---

(١) في اللهجات العربية ٦٩

(٢) ينظر: العامي الفصيح ٨، ٣٥، ٧٧، ٩٠، ١٢٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٥

(٣) ينظر: العامي الفصيح ٨ ،٣٧، ٣٩، ٧٠

(٤) ينظر: السابق ١٠٠، ١١٢

الصوتي، ومن ذلك كلمات عديدة مفتوحة الأول وبعدها واو في الفصحى، فتُحوّلها العاميّة إلى كلمات مضمومة الأول؛ لتتناسب الواو مع الضمة قبلها، فتتحوَّل الواو في الكلمة من حرف لين في الفصحى إلى حرف مدّ في العاميّة، ومن ذلك(الحَوْسة) بمعنى الاضطراب، ومنه (الحَوْش) فناء الدار، وهي كلمة مُحْدَثة، ومنه(الحَوْصلة) و(الحَوْض) و(الشَّوْط) و(الشَّوْف) و(الشَّوْك) و(الشَّوْكة) و(الشَّوْنة) و(الصَّوْب) و(الصَّوْم) و(الطَّوْر) بمعنى المرّة والتارة، ومنه(الطَّوْف) بمعنى الجدار، و(الطَّوْق) بمعنى القدرة، وما أحاط بالشيء، ومنه (الفَوْج).(١)

وهنا اختارت العاميّة الضم في الأمثلة السابقة؛ مراعاة للجوار الصوتي؛ حتى يتناسب الضم مع الواو الآتية بعدها، والعاميّة كثيرًا ما تفعل ذلك، يقول الدكتور شوقي ضيف: قاعدة مطردة في العاميّة، كل حرف مفتوح بعده واو ساكنة، تُبدل فيه الفتحة ضمة.(٢)

والفتح والضم متقاربان في المخرج، فاللسان مع الفتحة يهبط إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم، بحيث يكون مستويًا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك(٣)، والضمة يرتفع اللسان معها إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه نحو الحنك الأعلى، بحيث لا يحدث الهواء المار بينهما أي نوع من الحفيف.(٤)

وفسّر بعض المُحْدَثين ما حدث في الأمثلة السابقة، من اختيار العاميّة للضم قبل الواو بما يعرف بانكماش الأصوات المركبة المسماة باللاتينية diphthong، وهي ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير في اللغة، وهي تذهب إلى أن اللغة تميل في تطوّرها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتًا أخرى لا تتطلب مجهودًا

(١) ينظر: العامي الفصيح ٣٠، ٩٢، ٩٨، ١٠٨، ١٠٩، ١٦٥
(٢) ينظر: تحريفات العاميّة للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات١٦٦
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية٣٣، علم اللغة العام (الأصوات) ١٩٧، أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال١١٣
(٤) ينظر: الأصوات اللغوية٣٣ وما بعدها

عضليًّا كبيرًا. [١]

وهنا تمّ تحوّل الصوت المركب(aw) إلى ضمة طويلة ممالة(o) كما في كلمات: يُوم ونُوم وصُوم، بدلا من: يَوم ونَوم وصَوم، وكل ذلك راجع إلى إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات. [٢]

ومن الباحثين من يسمي هذه الحركة بالحركة المزدوجة، وهي الصوت الذي يتكون من حركة قصيرة وهي الفتحة، بعدها حرف لين ساكن كما في (قَوْم)[٣]، وهذا التطور والانحراف في الأصوات المركبة أو المزدوجة حدث في عصور العربية الأولى، فقد ذكر ابن السكيت ت ٢٤٤هـ: وتقول: الكَوْسَجُ للكَوْسَجِ ولا تقُل: الكُوْسَجُ، وهو الجَوْرَبُ، ولا تقل: الجُوْرَبُ[٤]، وأورد الحريري ت ٥١٦هـ أنهم يَقُولُونَ لهَذَا النَّوْع من المشموم: سُوسن بِضَم السِّين، فيوهمون فِيهِ... وَالصَّوَاب أَن يُقَال فِيهِ: سَوسن بِفَتْح السِّين.[٥]

الكسر في الفصحى والفتح في العاميّة:

في عديد من الأمثلة اختارت العاميّة الحركة الخفيفة وهي الفتحة، في مقابل الحركة الثقيلة وهي الكسرة في الفصحى، وصنيع العاميّة هذا كان تحقيقًا لمبدأ السهولة واليسر، ومن ذلك كلمات ذكرها صاحب العامي الفصيح، حُرّكت بفتح أوائلها في العاميّة، وهي في الفصحى مكسورة الأول، ومن ذلك(الإبريق) و(الإبزيم) و(بِذرة) و(الرِّشوة) و(البِرميل) و(المِبسم) (البِّطيخ)[٦] و(البِطريق) طائر، و(الجِّد) بمعنى الاجتهاد، و(الجِدار) و(الجِرجير) و(الجِنازة)[٧] و(خِرّيج) و(الخِرْوع)، و(خِزانة)، و(الخِنجر)،

(١) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٥٠ وما بعدها
(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٨، لحن العامة والتطور اللغوي ٥١
(٣) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والإثبات ٧٥
(٤) ينظر: إصلاح المنطق ١٢٤، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٩
(٥) ينظر: درة الغواص ١٥٠ وما بعدها، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٩
(٦) وفي الفصحى في البطيخ لغتان ففي اللسان (ب ط خ) ٩/٣: البِطِّيخُ والطِّبِّيخُ، لُغَتَانِ، لُغَتَانِ، وفي المصباح(ب ط خ) ٥١/١: الْبِطِّيخُ بِكَسْرِ الْبَاءِ فَاكِهَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَفِي لُغَةٍ لِأَهْلِ الْحِجَازِ جَعْلُ الطَّاءِ مَكَانَ الْبَاءِ... الْعَامَّةُ تَفْتَحُ الْأَوَّلَ وَهُوَ غَلَطٌ لِفَقْدِ فَعِّيلٍ بِالْفَتْحِ
(٧) كلمة الجنازة جاء فيها فتح الجيم وكسرها ففي اللسان(ج ن ز) ٣٢٤/٥: والجِنَازَة والجَنَازة: الْمَيِّتُ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: زَعَمَ قَوْمٌ أَن اشْتِقَاقَهُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَلَا أَدري مَا صِحَّتُهُ، وَقَدْ قِيلَ: هُوَ نَبَطِيّ. والجِنازة: وَاحِدَةُ الجَنائز، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ الجَنازة،

و(الخِنزير) و(الخِنصر) و(الِّدهليز) المدخل بين الباب والدار، و(المِرشحة) ما يوضع تحت السرج، و(الصِهريج)، و(العِتريس) الغضوب الجبار، ومنه (المِعجن) ما يُعجن به، و(مَعْدِن الخير والكرم) بمعنى الأصل، و(العِربيد) بمعنى الشرير، و(العِرض) ما يمدح ويذم من الإنسان، و(العِفريت) الخبيث المنكر، و(المِعْلف)، و(الفِراسة) العلم بباطن الأمور، و(الفِلقة) القطعة.[١]

ففي جميع الكلمات المتقدّمة اختارت العاميّة الفتح وهو الخفيف في مقابل الكسر وهو الثقيل في الفصحى، وأسجل على بعض الكلمات السابقة ما يلي:

١- بعض الكلمات السابقة ليست من أصل عربي، ومن ذلك(الإبريق) فهي معرّبة[٢]، غيّرت العامّة ضبطها عما وضعه المُعرّبون، وهذا يذكرني بقول أبي علي الفارسي: العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلطت فيه[٣]، ولكن ينبغي أن يظل على الصيغة التي ارتضاها العلماء، وهي كسر الهمزة؛ لموافقتها لأبنية العربية، ومن ذلك كلمة (الإبزيم) [٤]، وقد ذكر الدكتور أمين أن المجمع أقرّ الفتح فيها[٥]، ومن ذلك كلمة(البِرميل) وهي مولدة[٦]، وكذا كلمة (المِبسم) محدثة[٧]، وكذا كلمة (الدِّهليز) كلمة معرّبة[٨] تمنى الدكتور

بِالْفَتْحِ، وَالْمَعْنَى الْمَيِّتُ عَلَى السَّرِيرِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ الْمَيِّتُ فَهُوَ سَرِيرٌ ونَعْش، وفي الوسيط: (ج ن ز) ١٤٠/١ بالكسر بمعنى النعش والميت

(١) ينظر: العامي الفصيح ١، ٥، ٦، ٧، ١٤، ١٥، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٥٠، ٦١، ٩٨، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠،١١٩ ،١٢٦، ١٣٠، ١٥٣، ١٦٣

(٢) معرّبة عن الفارسية، وهي إناء من خزف أو معدن له عروة وفم. ينظر: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ٦

(٣) ينظر: الخصائص ٣٦٠/١

(٤) فارسي معرب. ينظر: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ٧

(٥) ينظر: العامي الفصيح١ ، والإبزيم عُرْوَة معدنية فِي أحد طرفيها لِسَان توصل بالحزام وَنَحْوه لتثبيت طرف الحزام الآخر على الْوسط (مَعَ). المعجم الوسيط(أ ب ز)٢/١

(٦) ينظر: المعجم الوسيط (ب رم) ٥٢/١

(٧) في المعجم الوسيط (ب س م) ١/ ٥٧: والمبسم الثغر وأنبوبة من خشب أَو مَعْدن أَو نَحْوهمَا تُوضَع فِيهَا لفافة التدخين أَو تدخن بهَا النارجيلة

(٨) في اللسان(د هـ ل ز) ٣٤٩/٥: الدِّهْلِيز: الدِّلِّيج، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. والدِّهْلِيز، بِالْكَسْرِ: مَا بَيْنَ الْبَابِ وَالدَّارِ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَالْجَمْعُ الدَّهالِيز. اللَّيْثُ: دِهْلِيز إِعراب دَالِيجٍ. قَالَ: والدِّهْلِيز مُعَرَّبٌ بِالْفَارِسِيَّةِ دَالِيزُ وَدَالَازُ، وينظر: الألفاظ الفارسية المعربة٦٨

أن يجيز المجمع فتحها[١]، ومن ذلك كلمة (الصهريج) الذي ذكر ابن سيده أن أصلها فارسي وَهُوَ الصِّهْرِيّ، عَلَى البَدَل[٢]، وفيه انحراف آخر بالإضافة لاختيار العاميّة للفتح، وهو أنهم يقلبون الصاد سينًا.[٣]

ب- التقى اختيار العاميّة للفتح في كلمة (الرشوة) مع إحدى اللهجات العربية القديمة التي أوردت في الكلمة ثلاث لغات – فتح الراء وضمها وكسرها- ففي اللسان: الرَّشْوَةُ والرُّشْوَةُ والرِّشْوَةُ مَعْرُوفَةٌ: الجُعْلُ، وَالْجَمْعُ رُشىً ورِشىً[٤]، وكذلك كلمة (الخنجر) فيها في الفصحى فتح الخاء وكسرها[٥]، والتقت العاميّة مع لغة الفتح في الفصحى.

الفتح في الفصحى والكسر في العاميّة:

آثرت العاميّة الكسر في كلمات عديدة؛ لمناسبة الياء بعدها، فتحوّلت هذه الياء من حرف لين في الفصحى، إلى حرف مدّ قبله حركة مناسبة له وهي الكسرة، وهي ظاهرة قديمة أشار إليها سيبويه في قوله: "وقد يكسرون أول الحروف لما بعده من الكسرة والياء، وهي لغة جيدة، وذلك قول بعضهم: ثِدِيٌّ، وحِقِيٌّ، وعِصِيٌ، وجِثِيٌّ"[٦]، فلعل ما حدث في العاميّة فيما يأتي من أمثلة، هو أثر من آثار هذه اللغة، ومن ذلك كلمات(عليه) [٧] بفتح اللام في في الفصحى، وبكسرها لمناسبة الياء في العاميّة، وينطبق ذلك على كلمات منها: (البيطار) و(البطريق) طائر و(البيدق) في الشطرنج و(البيرق) العلم الكبير، و(بَين) الظرف، و(التَّيس) و(الحمير) جمعًا، فالعوام يكسرون الحاء فيها تأثرًا رجعيًا بالميم بعدها، و(الحِمَّاض) نبات معروف[٨] تبدل العامة ألفه

(١) ينظر: العامي الفصيح ٥٠
(٢) ينظر: اللسان(ص هـ ر ج) ٣١٢/٢
(٣) ينظر: العامي الفصيح٩٨
(٤) ينظر: اللسان (ر ش ا) ٣٢٢/١٤
(٥) ينظر: اللسان(خ ن ج ر) ٢٦٠/٤
(٦) الكتاب٣٨٤/٤ وما بعدها
(٧) ينظر: العامي الفصيح٢
(٨) الحُمَّاض كرُمّان: عُشْبَةٌ جَبَلِيَّةٌ من عُشْبِ الرَّبِيع، ووَرَقُهَا عِظَامٌ ضُخْمٌ فُطْحٌ كالهِنْدِبَا، إلاَّ أَنَّه حامِضٌ شَدِيدُ الحَمْضِ، وزَهْرُهُ أَحْمَرُ، ووَرَقُه أَخْضَرُ، ويَتَنَاوَسُ فِي ثَمَره مِثْل حَبِّ الرُّمَّان، طَيِّبٌ، يَأْكلُه النَّاسُ شَيْئاً قَلِيلاً. ينظر التاج(ح م ض) ٣٠٤/١٨، ولست أدري أي عوام يعرفون ذلك؟

ألفه ياء فتصير الكلمة (حُمِيض) بكسر الميم لمناسبة ياء المد، بدل اللين في الفتح، ومنه كلمات(الحيرة) و(خيبة) و(الخير) و(ريع الأرض) و(السير) من الجلد و(السيف) و(الشيطان) و(شيء) [١] و(الشّين) بمعنى العيب، و(الصيف) أحد فصول السنة، و(العيبة)، و(غَير)، (الغَيظ)، و(الغَيم والغيمة).[٢]

ففي جميع الأمثلة المتقدمة آثرت العاميّة الكسر؛ لمناسبة الياء بعدها حتى يتحقق التناسب والانسجام الصوتي، يقول الدكتور شوقي ضيف: والعاميّة لا تنطق بفتحة قبل الياء الساكنة، بل تحوّلها إلى كسرة [٣]، وفسر بعض المحدثين ما حدث في أمثلة العاميّة فيما سبق، بتحوّل الصوت المركب (ay) إلى كسرة طويلة ممالة(e) في مثل نطقنا لكلمة (بِيت ولِيل وعِين) بدلا من (بَيت ولَيل وعَين) وكل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات.[٤]

ومن الباحثين من يسمي الصوت المركب بالحركة المزدوجة، وهنا مالت به العاميّة إلى صوت الإمالة المعروف في الفصحى.[٥]

وهذا التحوّل حدث في العاميّة منذ وقت مبكر، فقد ذكر الزبيدي أنهم – أي العوام في عصره – يقولون: فلان شديد الغِيرة على أهله، والصواب الغَيرة بالفتح، وأنهم يقولون للمدّة الخارجة من الجرح: قِيح بكسر القاف، والصواب قَيح بفتحها.[٦]

وتختار العاميّة – أحيانا– الكسر رغم ثقله في مقابل الفتح في

(١) حدث في كلمة(شيء) أكثر من تحوّل، فبالإضافة لاختيار العاميّة للكسر من أجل الياء، فهم يقلبون الهمزة ياء ويدغمونها في الياء، فيقولون: شيّ غريب. ينظر: العامي الفصيح ٩٢

(٢) ينظر:العامي الفصيح٦، ٩، ١١، ٢٨، ٣١، ٤١، ٧٠، ٨٤، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ١٣٨، ١٤٨

(٣) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات١٦٥

(٤) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٨ وما بعدها، لحن العامة والتطور اللغوي٥١

(٥) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات٧٥

(٦) ينظر: لحن العوام ١٧٤، ٢٠٤، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٧٩

الفصحى؛ لشهرة الصيغة المشتملة على الكسر عندها، أو لكثرة استعمالها عن الصيغة المشتملة على الفتح المستعملة في الفصحى، ومن ذلك (الحِتّة) عندهم القطعة من الشيء بكسر الحاء، والفصيح بفتح الحاء[١]، فالحِتَّة على صيغة(فِعْلة) بكسر الفاء وسكون العين، وهي أكثر استعمالًا في العاميّة من صيغة (فَعْلة) بفتح الفاء المستعملة في الفصحى.

ومن اختيار العاميّة للكسر الثقيل من أجل منع اللبس بكلمة أخرى تُشابهها في أصواتها، قوله: والوزّ والإوَزّ معروف، ومقتنى عندهم، واحدته وَزّة، وهُم – أي العوام– يكسرون الواو في المفرد والجمع[٢]، والذي يبدو لي أن العامّة قد اختاروا الكسر رغم ثقله؛ لأن كلمة (وَزّة) بفتح الواو تلتبس عندهم بالفعل (وَزّه) على كذا بمعنى سلّطه أو أَمَرهُ، وهذا الفعل عندهم محرّف من الفعل الفصيح (وَعَزَ) إليه في الأمر أمره أن يفعله أو يتركه.[٣]

التحوّل إلى حركة مماثلة سابقة أو لاحقة:

ربما يكون السبب في تحوّل الصوائت في العاميّة عن الفصحى، هو تأثر الصائت بآخر سابق عليه أو لاحق به، فالمماثلة كما تكون بين الصوامت، تكون بين الحركات حتى تتماثل، فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها؛ لتزداد مع مجاورتها قربًا في الصفات أو المخارج، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، وهي ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة [٤]، وعملية الاقتصاد في الجد العضلي هدف مقصود للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجًا وصفة سهل نطقها، وتحققت لها السلاسة والانسجام.[٥]

والأقدمون عرفوا هذا النوع من التأثر وسموه بأسماء مختلفة، فمنه

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢٠
(٢) ينظر: العامي الفصيح٢٤٢
(٣) ينظر: تاج العروس (و ع ز) ٣٧٣/١٥
(٤) الأصوات اللغوية١٠٦
(٥) أصوات اللغة العربية د/ عبدالغفار هلال٢٣٠

الإتباع[١]، والمضارعة[٢]، والتقريب[٣]، ويسمى عند المحدثين المماثلة[٤]، وهي تعني المشابهة، يُقَالُ: هَذَا مِثْله ومَثَله كَمَا يُقَالُ: شِبْهه وشَبَهُه بِمَعْنًى[٥]، ومعناها اصطلاحًا: جعل الصوتين غير المتماثلين متماثلين[٦]، أو أو هي عملية استبدال صوت بآخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أوفي الجملة.[٧]

وتأثر الأصوات بعضها ببعض نوعان، رجعي، وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني، وتقدمي وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول.[٨]

هذا ويمكن تصنيف ما ورد من تحوّل العاميّة عن الفصحى في الحركات؛ نتيجة تأثر صائت بآخر على النحو الآتي:

التحوّل إلى الكسر:

وردت أمثلة عديدة للتحوّل إلى الكسر في العاميّة المصرية، ويتحقق أغلب ذلك في تحوّل الفعل الماضي المجرد في العاميّة عن الفصحى، فالمعروف أن صيغ الماضي هي: فَعَلَ وفَعِلَ وفَعُلَ، ولكنها في العاميّة تحوّلت عن هذه الصيغ إلى صيغ أخرى، نتيجة التأثر بحركة مجاورة، وقد آثرت الحديث عن صيغ هذه الأفعال في دراسة صوتية؛ لأن أغلب ما حدث فيها من تحوّل أو تغيير، راجع إلى التناسب والانسجام بين الأصوات المكونة لهذه الصيغ، فدراسته في الجانب الصوتي أليق في هذا المقام في نظري.

وتأثر الكسر بالكسر في صيغة الماضي في العاميّة، جاء في جميع صيغ الفعل الماضي، وكذا في بعض المشتقات مما كان على صيغة (فَعِل)،

(١) الكتاب٤/ ١٠٩ وفيه يقول: "وأما الذين قالوا مغيرةٌ ومعينٌ فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة"
(٢) الكتاب٤/ ٤٧٧ وما بعدها
(٣) المقتضب١/٢٢٥ وما بعدها، يقول المبرد: "هَذَا بَاب مَا تقلب فِيهِ السِّين صاداً وَتركهَا على لَفظهَا أَجود، وَذَاكَ لأَنَّها الأَصل، وإِنَّما تقلب للتقريب ممّا بعْدهَا"
(٤) ويطلق عليها أيضاً الانسجام الصوتى، أو المشابهة. ينظر: الأصوات اللغوية ١٠٦
(٥) اللسان (ش ب ه) ٦١٠/١١
(٦) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات ١٤٦.
(٧) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه٣٠
(٨) الأصوات اللغوية١٠٦

فمن أمثلة التحوّل في (فَعِلَ) الفعل(حَبِلَ) فهو في الفصحى على (فَعِلَ)، ورد في اللسان: وَقَدْ حَبِلت المرأَةُ تَحْبَل حَبَلًا[١]، وذكر صاحب العامي الفصيح أن العوام يكسرون الحاء، عندما يستخدمون الفعل الماضي ويسكّنون الباء، فيقولون: حِبْلِت، وكأنهم نقلوا كسرة الباء إلى الحاء بعد سلب حركتها، وأتبعوها كسرة اللام[٢]، والتأثر هنا تقدمي؛ حيث تأثرت اللام في الفعل بحركة الحاء، بعد نقل الحركة إليها من الباء، أو بمعنى آخر تأثر الثاني بالأول، أو اللاحق بالسابق.

ومن التأثر الرجعي الفعل(خَجِل) بفتح الأول وكسر الثاني في الفصحى، ففي اللسان: "رَجُلٌ خَجِل وَبِهِ خَجْلة أَي حَيَاءٌ... وخَجِل الرَّجلُ خَجَلًا: فَعَل فِعْلًا فَاسْتَحَى مِنْهُ ودَهِشَ وتَحَيَّر"[٣]، ولكن العامّة يكسرون فاء الفعل تبعا لعينه، فيقولون: فلان خِجِل[٤]، ومن ذلك الفعل(خَرِس) فهو في الفصحى على فَعِل بفتح الأول وكسر الثاني، ففي اللسان الخَرَسُ: ذَهَابُ الْكَلَامِ عِيّاً أَو خِلْقَةً، خَرِسَ خَرَساً وَهُوَ أَخْرَسُ[٥]، ولكن العامّة يكسرون خاءه، خاءه، والفصيح فتحها[٦]، ومنه الفعل(خَزِيَ) بفتح أوله وكسر ثانيه في الفصحى، فخَزِيَ الرجلُ يَخْزَى خِزْياً وخَزىً؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ: وَقَعَ فِي بَلِيَّة وشَرٍّ وشُهْرةٍ فَذَلَّ بِذَلِكَ وهانَ، ولكن العوام يكسرون الخاء من الفعل الماضي[٧]، وهذا التأثر الرجعي في الأفعال ينطبق على أفعال (خَفِيَ) في الفصحى؛ حيث يُنطق عند العوام بكسر الأول والثاني، ومنه(دَرِيَ) حيث ينطق عند العامّة (دِرِي) بكسر الأول والثاني، ومنه(دَفِئَ) في الفصحى، ويُنطق في العاميّة(دِفِي) بكسر الأول والثاني وبالياء في الآخر بدل الهمزة، ومنه(شَرِقَ) بفتح الأول وكسر الثاني في الفصحى، والعوام بكسر الشين

(١) اللسان(ح ب ل) ١٣٩/١١
(٢) ينظر: العامي الفصيح١٩، ٢٠
(٣) ينظر: اللسان(خ ج ل) ٢٠٠/١١
(٤) ينظر: العامي الفصيح٣٣
(٥) ينظر: اللسان(خ ر س) ٦٢/٦
(٦) ينظر: العامي الفصيح٣٥
(٧) ينظر: السابق٣٦

والراء[١] ، ومن التأثر الرجعي أفعال(شَهِد) و(صحا)[٢] و(ضَحِكِ) و(طَرِيَ) و(غَرِقَ) و(غَرِمَ) و(غَلِطَ) و(لَزِقَ)[٣]، فما تقدّم كلمات بفتح الأول وكسر الثاني في الفصحى، ينطقها العامّة بكسر الأول والثاني؛ حيث تأثر الأول بالثاني تأثرًا رجعيًّا.

وظهر مما سبق أن صيغة (فَعِلَ) في الفصحى لا تكاد توجد في العاميّة، فهي قد حوّلتها إلى (فِعِل) بكسر الأول والثاني[٤]، وقد تحوّلها إلى صيغة (فَعَل) بفتح الأول والثاني كما سيأتي في التأثر بالفتح.

ويرجع أحد الباحثين شيوع صيغة(فِعِل) بكسر الأول والثاني في العاميّة المصرية إلى قبائل قيس التي استوطنتها ونزلتها، مستدلًا بما ذكره ابن فارس في صدد حديثه عن فصاحة قريش، وأنه ليس فيها الكسر الذي نجده في أسد وقيس، في نحو شِعير وبِعير.[٥]

ومن تأثر الكسر بالكسر في المشتقات تأثرًا رجعيًّا، ما جاء في الوصف (حَرِش) بفتح الأول وكسر الثاني، ففي اللسان:" كلُّ شَيْءٍ خشِنٍ أَحْرشُ وحَرِشٌ؛ الأَخيرة عَنْ أَبي حَنِيفَةَ، وأُراها عَلَى النَّسَبِ؛ لأَنّي لَمْ أَسمع لَهُ فِعْلًا"[٦]، فالوصف في الفصحى بفتح الأول وكسر الثاني، وهو مروي عن أبي حنيفة كما سبق، ولكن الذي حدث في العاميّة أنهم يكسرون أوله تأثرًا بثانيه، فيقولون: رمل حِرِش، وهذا من إتباع الفاء للعين كما في فَخِذ[٧]، وهذا من التأثر الرجعي، ومثله الوصف بكلمة (حَرِك) بفتح الأول وكسر

(١) ينظر: السابق٣٩، ٤٥، ٤٧، ٨٧
(٢) الفعل (صحا) جاء فيه: وصَحِيَ السَّكْرانُ، كَرَضِيَ. ينظر: القاموس (ص ح ي)١٣٠٢، فحوّلها العامة إلى (صِحِي) بكسر الأول والثاني، فكان كسر الصاد تبعا لكسرة الحاء. ينظر العامي الفصيح٩٥
(٣) ينظر: العامي الفصيح ٩١، ٩٥ ،١٠٠، ١٠٤، ١٤٢، ١٤٤، ٢٠٣
(٤) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات للدكتور شوقي ضيف ١٥
(٥) ينظر: الصاحبي٢٩ ،تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات١٦
(٦) ينظر: اللسان(ح ر ش) ٢٨١/٦
(٧) ينظر: العامي الفصيح ٢٢

الثاني في الفصحى، فَغُلَامٌ حَرِكٌ أَي خَفِيفٌ[١]، ولكن العوام يقولون: فلان حِرِك بكسر الحاء والراء، والفصيح فتح الحاء وكسر الراء[٢]، ومن ذلك الوصف (حَمِش) بفتح الأول وكسر الثاني وهو الفصيح، ففي القاموس: وكفرِحَ حَمَشاً وحَمْشَةً: غَضِبَ[٣]، ولكنهم في العاميّة يقولون: فلان حِمِش بكسر الحاء والميم، والفصيح بفتح الحاء وكسر الميم[٤]،ومن ذلك الوصفان (عَكِرَ) و(قَذِر) وكلمة (نَتِن)[٥] مفرد نَتْنى، وَفِي حَدِيثِ بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيّاً فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لأَطْلَقْتُهم لَهُ"[٦] يَعْنِي أُسارى بَدْرٍ، وَاحِدُهُمْ نَتِنٌ كزَمِنٍ وزَمْنَى [٧]، فكلمات: (حِرِش) و(حِرِك) و(حِمِش) و(عِكِر) و(قِذِر) و(نِتِن) بكسر الأول والثاني في العاميّات من التأثر الرجعي حيث تأثر الأول بالثاني.

وقد عزي نظائر لما سبق من إتباع، فابن سيده عزا إتباع الكسر أو التأثر به في مِنتِن إلى طائفة من العرب جُلّهم من تميم، بينما عزا إتباع الضم في مُنتِن إلى الحجاز[٨]، وعكس ابن حسنون العزو[٩]، ورأي ابن سيده سيده يتفق مع ما عُرف من ميل تميم إلى الإتباع والتجانس الأصواتي [١٠]، ولعل ما حدث في العاميّة هو من آثار لهجة تميم.

التحوّل إلى الضم:

وردت أمثلة في العامي الفصيح للتحوّل إلى الضم، ومن ذلك تحريفهم للفعل(حَمُض) الذي ورد له في الفصحى لغات، ففي القاموس: وقد حَمُضَ،

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢٢
(٢) ينظر: اللسان(ح ر ك) ٤١١/١٠
(٣) ينظر: القاموس(ح م ش) ٥٩١
(٤) ينظر: العامي الفصيح٢٨
(٥) ينظر: السابق ١٢٩، ١٧٢، ٢٢٣
(٦) رواية مسند أحمد طبع الرسالة حديث رقم ١٦٧٣٣، ج٢٩٢/٢٧: "لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى أَطْلَقْتُهُمْ "، ورواية البخاري حديث رقم٣١٣٩ج٩١/٤ "لتركتهم له" بدلا من " لأطلقتهم له"
(٧) ينظر: اللسان(ن ت ن) ٤٢٦/١٣
(٨) ينظر: المخصص ٢٧١/٣
(٩) ينظر: اللغات في القرآن ٤٥
(١٠) ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ١٠٢

ككـرُمَ وجَعَـلَ وفـرحَ، أو كفـرحَ فـي اللَّـبَنِ خاصَّـةً[١]، يقـول صـاحب العـامي الفصيح: إذا نطقوا بالفعل الماضي(حَمُضَ) أتبعوا ضمة الميم ضمة الحاء وقالوا:(حُمُض) [٢]، فالفعل في الفصحى على (فَعُلَ)، غيَّرته العامة إلى(فُعُل) فُعُل) فهو من التأثر الرجعي؛ حيث تأثرت الحاء المتقدّمة بالميم المتأخرة.

ومن ذلك تحريفهم للفعل(فَرَغَ) على صيغة(فَعَلَ) وفيه لغة أخرى في الفصحى(فَرِغَ) ففي اللسان: الفَراغُ: الخَلاءُ، فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ فَراغاً وفُروغاً وفَرِغَ يَفْرَغُ [٣]، فالعامة حرّفت الفعل بأن ضمت الأول والثاني[٤]، والذي يبدو يبدو لي أن العامة ضمت ثاني الفعل أولًا، ثم أتبعت الفاء العين، فالتأثر في نظري رجعي، وبالتالي أصبحت صيغة الفعل على(فُعُل) وهي ليست من صيغ الفعل الماضي في الفصحى.

ومن التأثر بالضم تأثر فاء الكلمة بعينها في الفعل(قَدُمَ) الفصيح، ففي اللسان: قَدُمَ يَقْدُم قِدَماً وقَدامةً وتَقادَمَ، وَهُوَ قَدِيم[٥]، أما العامّة فتنطقه بضم القاف والدال، فيقولون: هذا الثوب قُدُم[٦]، وهذا التأثر رجعي؛ حيث تأثر تأثر الصوت الأول بالثاني.

ومما تقدّم يظهر أن العاميّة في الكتاب موضع الدراسة حوّلت الصيغة الفصحى (فَعُلَ) إلى(فُعُل) تجانسًا بين حركتي فاء الكلمة وعينها. [٧]

التحوّل إلى الفتح:

وردت أمثلة للتحوّل إلى الفتح، ومن ذلك، نطقهم للفعل(عَرجَ) بفتح الراء والفصيح بكسرها[٨]، وهنا تحوّل الفعل من كسر ثانيه في الفصحى، إلى إلى فتحه تأثرًا بفتح فاء الفعل، ويُعدّ هذا من التأثر التقدمي؛ حيث تأثر الثاني بالأول، وهنا أسجل أنه كان ينبغي على الدكتور أمين التنبيه على أن

(١) ينظر: القاموس المحيط(ح م ض) ٦٤٠
(٢) ينظر: العامي الفصيح٢٨
(٣) ينظر: اللسان (ف ر غ) ٤٤٤/٨
(٤) ينظر: العامي الفصيح١٥٥
(٥) ينظر: اللسان (ق د م) ٤٦٥/١٢
(٦) ينظر: العامي الفصيح١٧١
(٧) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ١٦
(٨) ينظر: العامي الفصيح١١٩

الفعل(عَرِج) بكسر ثانيه في الفصحى قاصر على من كان العرج فيه خلقة، أما من عرض له العرج ولم يكن له خلقة ففيه تثليث ثانيه[١]، ومن تأثر الفتح بالفتح الفعل(عَمِلَ) فهو في الفصحى بفتح أوله وكسر ثانيه، جاء في العامي الفصيح عند الفعل (عمل): الثلاثي المجرد بعضهم ينطقه بفتح العين والميم، وبعضهم ينطقه بكسرهما[٢] فالعاميّة سلكت في تحوّل هذا الفعل طريقين، أولهما: فتح الثاني تأثرًا بفتح الأول تأثرًا تقدميًّا، وهذا ما نسمعه من أهل الصعيد؛ حيث ينطقونه (عَمَل)، وثانيهما: كسر الأول تأثرًا بالثاني تأثرًا رجعيًّا، وهو ما نسمعه في لهجة القاهرة ؛ حيث ينطقونه(عِمِل)، ومن التأثر بالفتح الفعل(غَنِجَ) بفتح أوله وكسر ثانيه، ففي اللسان: امرأَة غَنِجَة: حسَنة الدَّلّ، وغُنْجُها وغُناجُها: شَكْلُها،...وَقَدْ غَنِجَتْ وتَغَنَّجَتْ[٣]، فتحت العامّة النون من الفعل، والفصيح كسرها[٤]، وفتح النون تأثرًا بفتح الغين في الفعل تأثرًا تقدميًّا، ومن ذلك الفعل(لَحِس) بفتح أوله وكسر ثانيه في الفصحى، فيُقَالُ: لَحِس القَصْعَة، بِالْكَسْرِ[٥]، وينطق العوام الفعل الماضي بفتح الحاء[٦]، الحاء[٦]، تأثرًا باللام قبلها تأثرًا تقدميًّا.

وظهر مما تقدّم أن صيغة (فَعِل) بكسر الأول والثاني قد حُوّلت إلى (فَعَل) بفتح الثاني تأثرًا بالأول كما في(عَرِجَ) و(غَنِجَ) و(لَحِسَ) و(عَمِلَ) بفتح الأول وكسر الثاني في الفصحى، فهذه الأفعال تحوّلت في العاميّة إلى كسر الثاني، ويزيد الفعل(عَمِل) أن العاميّة قد تحوّله إلى (عِمِل) بكسر الأول تأثرًا بالثاني.

- كسر أحرف المضارع:

الأصل في أحرف المضارع أن تكون مفتوحة في غير الفعل الرباعي، وأن تكون مضمومة في الرباعي، ولكن ورد في كتب التراث كسر حروف

(١) ينظر: (ع ر ج) في: القاموس المحيط ١٩٨ ، تاج العروس٩٤/٦
(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٣٣
(٣) ينظر: اللسان(غ ن ج) ٣٣٧/٢
(٤) ينظر: العامي الفصيح ١٤٦
(٥) ينظر: اللسان(ل ح س) ٢٠٥/٦
(٦) ينظر: العامي الفصيح ٢٠٣

المضارعة، وهي ظاهرة قديمة معروفة في اللهجات العربية، تسمى بالتلتلة، وهي مختلف في تعريفها، وفي ما يكسر من حروف المضارع فيها، وفي عزوها للناطقين بها، ومعناها يدور حول الزعزعة والزلزلَة، والتَّحْرِيك والإقْلاق[١]، فلعل التسمية جاءت من هنا؛ لما في الكسر من إقلاق للصوت وزعزعة، أما لماذا اختص كسر التاء دون غيرها من حروف المضارعة بهذه التسمية ؟ فهذا مما لا نعرف له سببًا، اللهم إلا كون التاء من الأصوات المؤلفة لهذا المصطلح.[٢]

ويظهر من كلام سيبويه أنها في جميع حروف المضارعة ما عدا الياء عند غير أهل الحجاز[٣]، والذي يبدو من كلام ثعلب وغيره أنها تعني كسر التاء عند بهراء [٤]، ويبدو أن هذه الظاهرة تنتشر في نطاق أوسع، حتى قال ابن منظور: إنها لغة قيْس وتَمِيم وأَسَد ورَبيعةَ وعامَّةِ الْعَرَبِ، وأَما أَهل الْحِجَازِ وقومٌ مِنْ أَعجاز هَوازِنَ وأَزْدِ السَّراة وبعضِ هُذيل، فَيَقُولُونَ: تَعْلَم، وَالْقُرْآنُ عَلَيْهَا، وزعم الأخفش أَن كُلَّ مَن وَرَدَ عَلَيْنَا مِنَ الأَعراب لَمْ يَقُلْ إلا تِعْلَم، بِالْكَسْرِ[٥]، وهذا يؤكده نسبة الكسر إلى قريش عند ابن عطية في قوله قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ يَتَأَيُّهَا﴾[٦]، حيث قال: قراءة أبي بن كعب «تيمنه» بتاء وياء في الحرفين وكذلك- تيمنا- في يوسف[٧]، قال أبو عمرو الداني: وهي لغة تميم، قال القاضي: وما أراها إلا لغة قرشية، وهي كسر نون الجماعة كنستعين [٨]، وظهر أن كسر أحرف المضارعة كما هو موجود في الكتلة الشرقية من القبائل العربية، فقد وجد في

(١) ينظر: (ت ل ل) في: الصحاح٤/١٦٤٥، اللسان١١/٧٩
(٢) ينظر: اللهجات في الكتاب ١٦٢
(٣) ينظر: الكتاب ٤/١١٠
(٤) ينظر: مجالس ثعلب٨١، الخصائص ٢/١٣، درة الغواص٢٢٤، اللسان (ت ل ل)١١/٨٠ القاموس المحيط (ت ل) ٩٧٠
(٥) اللسان (و ق ى) ١٥/٤٠٢ وما بعدها، اللهجات في مجالس ثعلب٣٨٥٠
(٦) من الآية ٧٥ سورة آل عمران
(٧) في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى قَالُوا۟ يَتَأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ يَتَأَيُّهَا﴾ من الآية ١١
(٨) ينظر: المحرر الوجيز١/٤٥٧

قبائل الكتلة الغربية كقريش وهذيل[١]، وهو ما جعل أحد الباحثين يفسّر ذلك بقوله: وهذا يؤكد انتشار الكسر في قبائل كثيرة على سبيل التأثر والتأثير، وإلا فالمشهور أن الكسر في حروف المضارعة عند أرباب البادية من القبائل المشار إليها[٢]، وانتشار هذه الظاهرة حَمَلَ مكي بن أبى طالب على القول: إنها لغة مشهورة حسنة [٣]، وهذه الظاهرة ليست قاصرة على اللهجات العربية العربية فقط، وإنما وجدت في الساميات كالعبرية والسريانية، كما أنها توجد في لهجات جنوب اليمن الحديثة، وفي عاميّة مصر.[٤]

وقد علّل سيبويه لهذه الظاهرة بقوله : وإنما كسروا هذه الأوائل؛ لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني فَعِل، كما ألزموا الفتح ما كان ثانيه مفتوحًا في فَعَل، وكان البناء عندهم على هذا أن يجروا أوائلها على ثواني فَعِل منها.[٥]

وعلل سيبويه لعدم الكسر في الياء بقوله: وذلك أنهم كرهوا الكسرة في الياء[٦]، والحقيقة إن هذه اللهجة تحاول أن تحدث لونًا من الانسجام الصوتي في الكلمة العربية، فإن من وسائل العربية في تحقيق الانسجام المخالفة بين حروف الكلم، وقد كسروا حروف المضارعة فيما عينه مفتوحة؛ ليتحقق الانسجام بهذه المخالفة، ولم يفعلوا ذلك فيما أوله الياء؛ لأن الياء أشبه بالكسرة من الناحية الصوتية، والفرق بينهما إنما هو في المسافة بين اللسان والحنك الصلب، فإنه إذا ضاقت المسافة ضيقًا لا يسمح بالمرور دون احتكاك، وإحداث شيء من الحفيف كانت الياء الصامتة، وإذا اتسعت بحيث لا يحتك الهواء، ولا يحدث حفيفًا كانت الكسرة، أو الياء الصائتة.[٧]

ويرى بعضهم عدم استبعاد الكسر في الياء؛ لأن الكسرة أنسب للياء من

(١) ينظر: اللهجات في مجالس ثعلب ٣٨٥٠
(٢) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطورا ٢٩٤، اللهجات في مجالس ثعلب ٣٨٥٠
(٣) ينظر: الإبانة عن معاني القراءات ١٢٢، اللهجات العربية في مجالس ثعلب ٣٨٥١
(٤) ينظر: اللهجات العربية في التراث٣٩٧/١
(٥) الكتاب ١١٠/٤
(٦) السابق الصفحة نفسها
(٧) ينظر: لهجات العرب للدكتور عيد الطيب ١٨٥

الفتحة والضمة فهما من مخرج واحد [١]، والفتح هو الأصل عند سيبويه[٢]، ويؤيده أن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة العربية بعد هجرة أخواتها الساميات، فالفتح ليس حادثًا فيها، بل إنه الأصل، والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم.[٣]

وانطلاقا مما تقدم من أقوال المُحدَثين[٤] من أن كسر أحرف المضارعة موجود في العاميّة المصرية، فهو كائن بكثرة في العامي الفصيح، والعجيب أن أكثره كان في حرف الياء وفي أمثلة كثيرة، وربما كان ذلك للتجانس الذي بين الياء والكسرة كما سبق عند بعض الباحثين، ومن ذلك (يبوسه) بكسر الياء قبّله فارسي معرب[٥]، و(يجري) و(يجلجل) و(يحب) و(يحرض) و(يتحطّم) و(يخرب) و(يدوّي) و(يرجف) و(يتعنّت) إلى آخر المعجم[٦]، وكلها أفعال كسر فيها حرف المضارعة وهو ياء، وفي بعض الأفعال تزيد العامّة على كسر الياء أن تسبقها باء مكسورة، وذلك في نحو(بيتفاصح) و(بيتلجلج) في كلامه[٧]، وقد علّل بعضهم لزيادة الباء قبل الفعل المضارع بأنها لتأكيد حدوث الفعل في زمن المتكلم، وقد أورد الدكتور أحمد عيس بك أن هذه الزيادة قديمة العهد جدًا، فقد قرأ هذا التحريف في كلام أناس من القرن الثالث الهجري، وذلك في كتاب" دُرر التيجان وغُرر تواريخ الزمان" لأبي بكر بن عبيدالله بن أيبك صاحب صرخد من علماء القرن الثامن الهجري، ولكن الكلام منقول فيه عن أناس من القرن الثالث الهجري، أن زيادة حرف الباء هذا موجود في اللغات السامية الأخرى، كالسريانية والعبرية والكلدانية والحبشية، ففي اللغتين العبرية والسريانية حرف (ب) مختزل من

(١) اللهجات في الكتاب ١٦١
(٢) الكتاب ١١١/٤
(٣) اللهجات العربية نشأة وتطورًا ٢٩٥
(٤) ينظر: اللهجات العربية في التراث٣٩٧/١، اللهجات في الكتاب ١٦١، ١٦٤
(٥) في: كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة ٣١: باس يبوس مأخوذ من بُوسِيدَن.
(٦) ينظر: العامي الفصيح ٨، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٢،٣٤، ٥٢ ، ٥٨، ١٣٤، وفي بعض الأفعال إشارة من الدكتور أمين إلى كسر النون في نحو(نفعل)و(نفترض).العامي الفصيح١٥٣
(٧) ينظر: العامي الفصيح ١٥٨، ٢٠٣

كلمة (بيت) فنطقوها بَ أو با أو بي، مثل (بَزمَّار) وأصلها بيت زمَّار، وفي اللغة الحبشية يكون حرف (بَ) بمعنى في، فمثلا في البيت، تقول: بَبَيت، ثم يسأل الدكتور، فهل أخذنا هذا عن هاته اللغات التي هي أخوات للغة العربية؟ وأدخلنا حرف الباء على الأفعال المضارعة للدلالة على أن المتكلم واقع في الفعل حقًّا، وتكون معنى (باكل) أنيّ في الأكل، و(بشرب) أني في الشرب، و(بكتب) أني في الكتابة.(١)

حذف الحركة:

حدث تحوّل صوتي عن طريق حذف حركة عين الكلمة في العاميّة ، وهي في هذا تلتقي مع لهجات عربية قديمة، أشار إليها سيبويه في قوله: "وذلك قولهم في فَخِذ: فَخْذٌ، وفي كَبِد: كَبْدٌ، وفي عَضُد: عَضْدٌ، وفي الرَّجُل: رَجْلٌ، وفي كَرُم الرجل: كَرْم، وفي عَلِم: عَلْم، وهي لغة بكر بن وائل، وأناسٍ كثير من بني تميم".(٢)

وقد عزا سيبويه إسكان الحركة فيما سبق إلى بكر بن وائل وأناس كثير من تميم، وعُرف هذا النوع من التخفيف بتفريعات تميم(٣)، وقد علّل سيبويه لإسكان عين الكلمة المكسورة بعد فتح ، والمضمومة بعد فتح ، والمكسورة بعد ضم بالفرار من الثقل إلى الخفة، ويظهر هذا في قوله: "وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل، وكرهوا في عُصِر الكسرة بعد الضمة... فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال".(٤)

ومن الانتقال من الثقيل إلى الخفيف في حذف حركة ما كان مضمومًا بعد فتح في العامي الفصيح قوله: والسَّبُع كل ما له ناب، والعامة يسكنونه(٥)، وتخفيف الكلمة غير ممتنع في الفصحى ففي اللسان: "قَالَ

(١) ينظر: المحكم في أصول الكلمات العاميّة٢١، وما بعدها، تحريفات العاميّة للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ٢٨
(٢) الكتاب ١١٣/٤
(٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٤٠/١
(٤) الكتاب ١١٤/٤
(٥) العامي الفصيح٧٥

سِيبَوَيْهِ: لَمْ يكسَّر عَلَى غَيْرِ سِباعٍ؛ وأَما قَوْلُهُمْ فِي جَمْعِهِ سُبُوعٌ فَمُشْعِرٌ أَن السَّبْعَ لُغَةٌ فِي السَّبُع، لَيْسَ بِتَخْفِيفٍ كَمَا ذَهَبَ إِليه أَهل اللُّغَةِ؛ لأَن التَّخْفِيفَ لَا يُوجِبُ حُكْمًا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، عَلَى أَن تَخْفِيفَهُ لَا يَمْتَنِعُ [١]، ومنه في العامي الفصيح، والضَّبُع جنس من السباع معروف عندهم، وهم يسكّنون الياء في وسطه[٢]، والضّبعُ بضم الباء وسكون لغتان في الفصحى، ففي اللسان والضَّبُعُ والضَّبْعُ: ضَرْبٌ مِنَ السِّباعِ.[٣]

ومن حذف حركة ما كان مكسورًا بعد فتح في العامي الفصيح قوله: ويعرفون الفَخِذ، ولكنهم يسكنون الخاء[٤]، والكلمة جاءت مخففة في نص سيبويه السابق، وأما كلمة الكَتِف ففي العامي الفصيح: والكَتِف معروفة عندهم وينطقونها الكِتْف وهو فصيح[٥]، والكلمة على فَعِل وفِعْل فصيحة، فالكَتِفُ والكِتْفُ مِثْلُ كَذِبٍ وكِذْبٍ: عَظْمٌ عَرِيضٌ خَلْفَ المَنْكِب.[٦]

وأما المحرّك بالفتح ففي الفصحى لا يخفف عند سيبويه حيث قال: وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكِّنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر[٧]، ووردت شواهد لإسكان المفتوح كثيرة في كتب التراث اللغوي اللغوي منها قراءة أبي عمرو في الشاذ (مَرْض) بسكون الراء من قوله تعالى: ٱلَّذِى ۝٦ لَوۡ مَا تَأۡتِينَا إِن يَٰٓأَيُّهَا[٨]، ولم يعدّ ابن جني التسكين تخفيفًا، وإنما وجّهه على أنه لغة في المفتوح[٩]، وجعل أبو حيان السكون في قراءة أبي السمال(شَجْر) بسكون الجيم من قوله تعالىٱلَّذِى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ

(١) لسان العرب(س ب ع) ١٤٧/٨
(٢) العامي الفصيح١٠٠
(٣) لسان العرب(ض ب ع) ٢١٧/٨
(٤) العامي الفصيح ١٥١
(٥) العامي الفصيح ١٩٦
(٦) اللسان(ك ت ف) ٢٩٤/٩
(٧) الكتاب ١١٥/٤
(٨) من الآية ١٠ سورة البقرة
(٩) المحتسب٥٣/١ وما بعدها

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ يَاأَيُّهَا[١] فرارًا من توالي الحركات، وَلَيْسَ بِقَوِيٍّ؛ لِخِفَّةِ الْفَتْحَةِ بِخِلَافِ الضَّمَّةِ وَالْكَسْرَةِ[٢]، وأجاز ذلك السمين؛ لأن السكونَ أخفُّ مِنْ أخفِّ الحركات[٣]، أما المُحْدثون فيرى الدكتور أنيس أن فَعْل بسكون العين هي الأصل تطوّر إلى فَعَل بفتحها، أي لا يصح ان نتصور أن كلمة جَمَل يمكن أن تتطور إلى جَمْل؛ لأن الأسماء التي من هذا النوع أي بفتحتين، قد كونت طائفة مميزة منذ القدم في معظم اللغات السامية، ولا تزال متميزة في لهجاتنا الحديثة[٤]، ولا يهم أي الصيغتين هو الأصل، وإنما المهم أن يثبت لدينا وجود الصورتين معًا، واستعمالهما في قراءة القرآن أوثق النصوص اللغوية على الإطلاق[٥]، ومهما يكن من شيء فإن الغرض من تسكين المفتوح هو التخفيف، وإن لم يكن في ثقل المضموم والمكسور، إلا أنه سُكّن فرارًا من توالي الحركات طلبًا للخفة، لا سيما أن السكون أخفّ منه، وإلى جانب التخفيف فإن التسكين يؤدي إلى سرعة الأداء.[٦]

ما سبق كان موقف الفصحى من تسكين المفتوح قديمًا وحديثًا، أما العاميّة فهي تخفف المفتوح، وربما كان ذلك لإيمانها بأن السكون أخف من الحركة، ومن ذلك في العامي الفصيح :الخَلَبوص الطّرّار النشّال، ويسكنون اللام منه[٧]، وكلمة الخَلَبوص بفتح اللام في الفصحى على زنة (فَعَلول) بفتح العين، ففي التاج الخَلَبُوصُ، مُحَرَّكَةً: طائِرٌ أَصْغَرُ مِنَ العُصْفُورِ، بلَوْنِه، سُمِّيَ بِهِ لِكَثْرَةِ هَرَبِه، وعَدَمِ اسْتِقْرَارِه فِي مَوْضِعٍ، ومِنْهُ سُمِّيَ الرَّجُلُ الطَّرّارُ خَلَبُوصاً[٨]، وهي في العاميَة بسكون اللام على (فَعْلول) بسكون العين، ويبدو لي أن الكلمة والصيغة المستعملة في العاميّة أيسر في النطق وأسهل.

(١) من الآية ٦٥ سورة النساء
(٢) البحر المحيط ٦٩٥/٣
(٣) الدر المصون٣٣١/٦
(٤) صيغ الاسم الثلاثي المجرد للدكتور إبراهيم أنيس مجلة المجمع٩٠/١٠
(٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٣٢٨
(٦) أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية ٢٧٣
(٧) العامي الفصيح١٣٩
(٨) ينظر: تاج العروس(خ ل ب ص) ٥٥٧/١٧

ومن ذلك العَدَس معروف عند العوام، ومنهم من يفتح العين والدال، ومنهم من يسكن الدال[١]، فالعَدس في الفصحى محرك العين والدال[٢]، فالعاميّة نطقت العدس بفتح العين والدال كالفصحى، ومنهم من يسكن الدال، لأن السكون أخف من الفتح عندهم.

وحذف الحركة يعنى اختصار عدد المقاطع؛ حيث يندمج المقطع المفتوح الذي حذفت نواته أو قمته في المقطع المفتوح الذى قبله؛ ليصير مقطعًا واحدًا من النوع الثالث أي المتوسط المغلق أي أن (ص ح) + (ص ح) يصبح (ص ح ص)، والقبائل البدوية تميل إلى المقاطع المغلقة، وهذا الميل من متطلبات ما عرف عنهم من السرعة في النطق؛ حيث تحتاج هذه السرعة إلى وقفات تحدّ منها وتكبح جماحها[٣]، فما وُجِد في العاميّة إنما هو هو أثر من آثار القبائل البدوية القديمة، كما أن اختصار المقاطع وتقليصها نوع من أنواع السهولة في النطق.

وقد جاء حذف الحركة من هاء الضمير إجراء للوصل مجرى الوقف في العامي الفصيح، ومن ذلك (عبارة أجره على الله) فهم لا يغيّرون فيها شيئًا إلا بتسكين هاء الضمير؛ إجراء للوصل مجرى الوقف، وهذا عربي فصيح.[٤]

وتسكين هاء الضمير لهجة عربية قديمة جاءت بها القراءات القرآنية، ومنها قراءة حمزة و حفص عن عاصم ﴿ أرجهْ ﴾[٥] ساكنة الهاء غير مهموزة[٦]، وعُزيَ إسكان هاء الكناية إلى أزد السراة وأعراب عقيل وكلاب نقلًا نقلًا عن الكسائى[٧]، وبثبوت أن إسكان هاء الضمير لغة منسوبة إلى أقوام

(١) العامي الفصيح١١٧
(٢) ينظر(ع د س) في: القاموس٥٥٦، تاج العروس ٢٣٦/١٦
(٣) الحركات العربية ٢١٩ ، ٢٢٠ بتصرف وينظر: اللهجات العربية في التراث ٢١٥.
(٤) ينظر: العامي الفصيح ١
(٥) من الآية ١١١ سورة الأعراف .
(٦) ينظر: السبعة ٢٨٨، ٢٨٩، النشر ١٤٩/١، الظواهر اللغوية في الكتاب الموضح ٣٨٠
(٧) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٢٨/١، اللسان(هـ ا) ٤٧٧/١٥، دراسة اللهجات العربية القديمة ١٨، الظواهر اللغوية في الكتاب الموضح٣٨١

بأعيانهم يبطل زعم من قال: إسكانها لحن، ولا يجوز إلّا في شذوذ من الشعر.[1]

وثبت مما تقدّم أن إسكان هاء الضمير في العاميّة هو امتداد لهذه اللهجات العربية القديمة، التي سكّنت هاء الضمير أو حذفت حركته.

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٦٦/٢، تفسير القرطبي ٢٥٧/٧

المبحث الثاني
التحوّل في الصوامت

إذا كان تحوّل الصوائت في العاميّة يكثر كثرة مفرطة على نحو ما بيّنت سابقًا، فإن التحوّل في الصوامت ليس بالكم القليل، ولا شك أن التحوّل في الصوامت عن الفصحى يُحدث تشويهًا في الكلمة العربية، لا يقل عما يمكن أن يُحدثه التحوّل في الصوائت، وحديثي عن تحوّل الصوامت في العامي الفصيح أُقسّمه إلى أحياز أو مخارج، أتناول مع كل مخرج الأصوات التي أصابها هذا التحوّل مما يندرج تحت هذا المخرج، داعمًا ما أقول ببعض الأمثلة محاولًا التحليل والتعليل الصوتي، وفيما يلي التوضيح والبيان:

تحوّل الأصوات الحلقية:

أصوات الحلق في العربية معروفة، وهي تتسم بصعوبتها وصعوبة تأليف الكلمات منها، ويأتي في مقدمة هذه الأصوات الهمزة، وفيما يلي بيان تحوّلها عن الفصحى:

تحوّل الهمزة:

صوت الهمزة صوت مستثقل تحدّث الأقدمون عن ثقله، وأنه يخرج فيما يشبه التهوع[١]، ومخرجه عندهم من أقصى الحلق[٢]، وعند المحدثين من الحنجرة أو من لسان المزمار، يحدث بأن تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًا، فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران، فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثًا صوتًا انفجاريًّا[٣]، والهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس[٤]، ونظرًا لصعوبتها تصرّفت فيها العرب بتخفيفها بطرق متعددة، كإبدالها حرفًا من جنس حركة ما قبلها، أو جعلها بين بين،

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ٥٤٨/٣، شرح المفصل٢٦٥/٥

(٢) الكتاب٤٣٣/٤

(٣) ينظر: علم الأصوات د. بشر ص٢٨٨، اللهجات العربية في القراءات القرآنية٩٥

(٤) الهمزة مجهورة عند القدامى. الكتاب٤٣٤/٤ وشرح المفصل لابن يعيش ٥٢٢/٥، وعند المحدثين هي صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، الأصوات اللغوية٧٧ ، علم اللغة العام (الأصوات)١١١

أو حذفها.[١]

والعامية تصرّفت في الهمزة أيضًا، وتخلّصت منها عن طريق تخفيفها، بوسائل منها ما هو وارد في اللهجات العربية القديمة، ومنها ما انحرفت في تحوّلها عنها، ويمكن تقسيم ما ورد في العامي الفصيح بصدد تخفيف الهمزة على النحو الآتي:

تخلّص العاميّة من الهمزة في اسم الفاعل من الفعل الأجوف:

المعلوم أن اسم الفاعل من الفعل الأجوف الذي أُعلّت عينه، تُعل عينه في اسم الفاعل، حملًا على إعلالها في الفعل، يقول ابن عصفور في إبدال الهمزة: ومن ذلك إبدالهم الهمزةَ من الياء والواو، إذا وقعتا عينينِ في اسم الفاعل بعد ألف زائدة، بشرط أن يكون الفعل الذي أُخذ منه اسم الفاعل قد اعتلَّت عينه، نحو: قائم وبائع، الأصل فيهما "قاوِمٌ" و"بايِعٌ"، فتحرَّكت الواو والياء وقبلهما فتحة، وليس بينها وبينهما حاجز إلَّا الألف الزائدة – وهي كما تَقَدَّم حاجزٌ غيرُ حصينٍ– وقد كانت الياء والواو قد اعتلَّتا في الفعل في "قامَ" و"باعَ"، فاعتلَّتا في اسم الفاعل حملًا على الفعل.[٢]

وليس بين الواو والياء والهمزة علاقة صوتية تسوغ إبدال الواو والياء همزة، ومن ثم فقد حاول المُحْدَثون إيجاد مبرر لهذا الإبدال، فمنهم من ذكر أنه هو الحذلقة والمبالغة في التصفح، فاللهجة الحجازية في لهجات الخطاب تتخلّص من الهمزة في أمثال أسماء الفاعلين في الأمثلة السابقة، ولكن عند محاكاتهم اللغة الأدبية ينطقونها مهموزة مبالغة في التفصح وحذلقة منهم.[٣]

والذي يترجح عندي أن السبب في انقلاب الواو والياء همزة في اسم الفاعل، ما ذكره هنري فليش، وهو كراهة النطق بصامت ضعيف(الواو والياء) مع مصوّت(الحركة) كالواو مع الضمة، والياء مع الكسرة، وكذلك الواو مع الكسرة، هذه الكراهة تُفسّر لنا من الناحية الصرفية، حالات كثيرة من

(١) ينظر: الكتاب٤/٥٤١
(٢) ينظر: الممتع في التصريف ٢١٨
(٣) ينظر: مشكلة الهمزة العربية ١٤١ وما بعدها

المخالفة عند إبدال الواو والياء همزة، فاسم الفاعل من الفعل الأجوف بالواو، أو بالياء، مثل قاول يصبح قائل، وكذلك بايع تصبح بائع.(١)

وما حدث في العربية الفصحى في اسم الفاعل من الأجوف، حدث مثله في بعض الساميات، بل ربما يرتقي إلى السامية الأم، فتبديل الواو والياء بالهمزة مطّرد قديم، وذلك في حالة وقوعهما بعد فتحة ممدودة، مثال قائم وسائر إلى غيرها، والدليل على أن ذلك التبديل يرتقي إلى اللغة السامية الأم، هو أنا نجده في الأكادية والآرامية، ففي الأكاديةdaikum(قاتل) منduk، وفي الآرامية اسم الفاعل من kam(قام) مثلا هوkaema(قائم).(٢)

ولكن العاميّة تخلّصت من الهمزة من اسم الفاعل رغم إعلالها في الفعل، والأغلب في هذا أن العاميّة تقلب الهمزة ياء في اسم الفاعل سواء كان فعله أجوفا يائيًّا أو واويًّا، ومن ذلك في العامي الفصيح، الجايز في الجائز، وحاير في حائر، وحايض في حائض، وخايف في خائف، وخاينة في خائنة، والدايخ في الدائخ، واللبن الرايب في الرائب، والزاير في الزائر، وفلان عينه زايغة في زائغة، والسايس في السائس، والسايق في السائق، والسايح في السائح، والسايل في السائل، والشايب في الشائب، والصايغ في الصائغ، والصايم في الصائم، والصايد في الصائد، والعايم في العائم، والعايش في العائش، والفايز والفايزة في الفائز والفائزة، والماء فايض في فائض(٣)، ففي جميع ما سبق تخلّصت العاميّة من الهمزة بقلبها ياء في اسم الفاعل، رغم إعلاله في الفصحى بالقلب همزة تبعًا لإعلال الفعل، ويظهر مما سبق في اسم الفاعل المعتل العين، أنه قد تحوّل في العاميّة من معتل العين بالواو إلى معتل بالياء، بدليل أن العامّة تقول: الصايغ والصايم .

تخلّص العاميّة من الهمزة الواقعة طرفًا:

القاعدة في الفصحى أن الواو والياء إذا وقعتا في الطرف بعد ألف

(١) ينظر: العربية الفصحى ٦٢، مشكلة الهمزة العربية ١٤٤

(٢) ينظر: مشكلة الهمزة العربية ١٤٣ وما بعدها، التطور النحوي ٤٩

(٣) ينظر: العامي الفصيح ١٨، ٣١، ٤١، ٥١، ٦١، ٧٤، ٧٥، ٨٣، ٨٤، ٩٢، ٩٨، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧

زائدة، تقلب همزة كما في دعاء، وأصلها دعاو، وبناء، وأصلها بناي[١]، ولكن العاميّة تخلصت من هذه الهمزة، ونطقت الكلمات على الأصل أحيانًا، ومن ذلك في العامي الفصيح (الدناءة) ولكنهم يقلبون الهمزة واو غالبًا[٢]، فـ (الدناءة) أصلها (الدناوة) نطقتها العاميّة على الأصل، ولا اعتداد بالتاء المربوطة في الآخر؛ لأنها على نية الانفصال، وقد تنطق العاميةّ أمثال هذا بغير همزة، وبصورة مخالفة للأصل ومن ذلك قولهم في(الرّغاء): (الرغّاي) بالياء الكثير الكلام، أو جهير الصوت شديده[٣]، والرّغاء أصل همزته واو؛ لأنه من رغا يرغو، والعاميّة نطقتها بالياء تحوّلًا عن الفصحى وعن الأصل.

تخلّص العاميّة من الهمزة في بعض صيغ الجموع:

القاعدة في الفصحى، أنه إذا جاءت واو أو ياء أو ألف بعد ألف الجمع، مما كان على مفاعل أو مفاعيل، أو ما يشبههما في عدد الحروف والحركات، كوزن فعائل، فإن هذه الأحرف الثلاثة تقلب همزة، بشرط أن تكون مدة زائدة في المفرد، فمثال الألف رسالة وقلادة، يقال في جمعهما: رسائل وقلائد، ومثال الواو عجوز تجمع على عجائز، ومثال الياء صحيفة تجمع على صحائف، ويرجع السبب في قلب الألف والواو والياء همزة في الأمثلة السابقة؛ لاجتماعها ساكنة مع ألف الجمع، فقلبت الألف والياء والواو همزة؛ لعدم قبول هذه الأحرف للحركة، وقبول الهمزة لها، وحركت الهمزة بالكسر على أصل التقاء الساكنين.[٤]

ويرى أحد الباحثين أن الهمز في مثل هذه الصيغ من قبيل الحذلقة والمبالغة في التفصح، مستدلًا بأن الحجازي في نطقه اللهجي يحوّل (مسائل) والهمزة فيه أصلية إلى (مسايل) بالياء، فكذلك يحول(رسايل) و(عجايز) و(صحايف) مما كانت الهمزة منقلبة عن الألف والواو والياء إلى صيغ مهموزة،

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفية ٢١١/٤
(٢) ينظر: العامي الفصيح٤٩
(٣) ينظر: السابق٦٥
(٤) ينظر: سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي ١٠٢/١، الممتع الكبير في التصريف٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٧، شرح ابن عقيل على الألفية ٢١٢/٤

عند محاكاته اللغة الأدبية ومواقف الجد، فيقول: (رسائل وعجائز وصحائف) كما يقول في الفصحى:(مسائل) تحذلقًا وتفصحًا.

وذهب هذا الباحث إلى أصالة هذه الصيغ بدون همز في العربية، مستندًا إلى وجودها بدون همز في اللغة الحبشية القديمة الجعزية، ومما يدل على عدم أصالة الهمز أن العرب تجمع ذؤابة على ذوائب لا ذآئب؛ لأن الحجازيين يقولون هنا بكل تأكيد: ذوابة وذوايب.[١]

والذي يبدو لي ضعف ما ذهب إليه الباحث في تفريقه بين خطاب الحجازي العادي ومحاكاته للغة الأدبية، فالعربيّ والبشر كلهم في مخاطباتهم العادية لهم كلام ولغة، تختلف عن اللغة التي يستخدمها في اللغة الأدبية ومواقف الجد، فلا يعد رجوعه للفصحى في الأمور الجدية تحذلقًا، أما زعمه أن صيغ الهمز في الكلمات غير أصلية، فهذا ما لم ينكره أحد، فالأصل هو الألف أو الياء أو الواو، وقُلبت هذه الأحرف إلى همزة لداع أو موجب اقتضى ذلك، وهو كون أحرف المد الثلاثة لا تحتمل الحركة، فقلبت حرفًا يقبل الحركة وهو الهمزة.

والعاميّة استخدمت هذا الأصل في كثير من الكلمات دون همز، مما يُعدّ تحوّلًا عن الفصحى، ومن ذلك كلمات تنطقها العاميّة بالياء، وهي في الفصحى بالهمز، مثل(الضغاين) و(عماير) و(فضايح) و(فضايل) و(فطاير) وهي في الفصحى على الترتيب(الضغائن) و(عمائر) و(فضائل) و(فطائر)[٢] جمعًا لكلمات(ضغينة) و(عمارة) و(فضيحة) و(فضيلة) و(فطيرة) وكلها ما عدا (عمارة) الياء فيها في المفرد مدة زائدة، وفي (عمارة) الألف هي المدة الزائدة.

إبدال العاميّة الهمزة إلى حرف مدّ مجانس لما قبلها:

حوّلت العامية الهمزة الساكنة إلى حرف مد مجانس لما قبل الهمزة، وهي ظاهرة قديمة في اللهجات العربية، وقد أشار سيبويه إلى تخفيف الهمزة

(١) ينظر: مشكلة الهمزة ١٤٥ وما بعدها
(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٠١، ١٣٢، ١٥٩، ١٦٠

الساكنة تخفيفًا قياسيًّا بقوله: وإن كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياءً، كما أبدلت مكانها واوًا إذا كان ما قبلها مضمومًا، وألفًا إذا كان ما قبلها مفتوحًا... فإنما تبدل مكان كلِّ همزة ساكنةٍ، الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنَّه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها[١]، وهذا النوع من الإبدال مطّرد، لكنه غير لازم إلا عند أهل الحجاز.[٢]

ومما جاء من إبدال الهمزة الساكنة حرف مد مجانس لحركة ما قبله في العامي الفصيح، إبدالها ألفًا لفتح ما قبلها في نحو قولهم في استَأْهل: استاهل بمعنى استحق، وفي التأريخ: التاريخ بألف، وفي حَأْحَأَ بسكون الهمزتين: حاحا لحث الحمار على السير، وفي الرأس: الراس، وفي الفأر: الفار، وفي الفأس: الفاس[٣]، وبعض الكلمات السابقة جاءت مخففة في اللهجات العربية القديمة، وبعضها لم يرو مخففا، فكلمة (استأهل) في الفصحى كانت موضع خلاف اللغويين، فالمازني يقول: لَا يَجُوزُ أَن تَقُولَ أَنت مُسْتَأْهِل هَذَا الأَمر، وَلَا مُسْتَأْهِل لِهَذَا الأَمر؛ لأَنك إِنما تُرِيدُ أَنت مُسْتَوْجِبٌ لِهَذَا الأَمر، وَلَا يَدُلُّ مُسْتَأْهِل عَلَى مَا أَردت، وإِنما مَعْنَى الْكَلَامِ أَنت تَطْلُبُ أَن تَكُونَ مِنْ أَهل هَذَا الْمَعْنَى، وَلَمْ تُرِدْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ تَقُولُ: أَنت أَهْلٌ لِهَذَا الأَمر، وأَما الأزهري فَلَا ينكر ذلك ولا يخطئ مَنْ قَالَهُ؛ لأَنه سَمِع أَعرابيًّا فَصِيحًا مِنْ بَنِي أَسد، يَقُولُ لِرَجُلٍ شَكَرَ عِنْدَهُ يَداً أُولِيَها: تَسْتَأْهِل يَا أَبا حَازِمٍ مَا أُولِيتَ، وَحَضَرَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَعراب فَمَا أَنكروا قَوْلَهُ[٤]، ويحسن في العاميّة أن تنطق الماضي بفتح الهاء، والمضارع بفتح الياء؛ طبقا لأصل الفعلين الفصيح، فتقول: استاهَل بفتح الهاء، ويَستاهِل بفتح الياء[٥]

أما كلمة التاريخ مخففة فقيل: إنها ليست بعربيّة محضة، وأن المسلمين أخذوها عن أهل الكتاب[٦]، وَقد أَنكرَ جماعةٌ استعمالَها مخفّفة،

(١) الكتاب٣/٥٤٤
(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣/٢٠٩
(٣) ينظر: العامي الفصيح ١٩،٣،٢، ٥٦، ١٤٩
(٤) ينظر: تهذيب اللغة(أ ه ل) ٦/٢٢١ ، لسان العرب (أهـ ل) ١١/٣٠
(٥) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ٤١
(٦) ينظر: تهذيب اللغة(أ ر خ) ٧/٢٢٣

والصّوابُ ورودُه واستعماله[١]، وورخّت الكتاب توريخًا لغة تميم، وأرخته تأريخًا لغة قيس، وتاريخ وتاريخان وتواريخ، وأرّخ كتابك هذا وورّخه [٢]، ويرى الدكتور رمضان عبدالتواب عدم أصالة الهمزة في العربية في كلمة (التأريخ) بدليل عدم وجود الهمزة في الجمع، فلا يقال في جمعه: تآريخ، فالفعل من الكلمة يورّخ، وقد تحذلق فيه الحجازيون فأقحموا عليه الهمزة، وقالوا: يؤرّخ، واشتقوا منه الماضي أرّخ، والاسم تأريخ[٣]، وأما كلمة حأحأ فلم أجدها حثًّا للحمار على المشي باسم الصوت إلا في المعجم الوسيط[٤]، وفي التهذيب أنها زجر للغنم عند السقي، يُقَال حَأْحَأْتُ بِهِ وحاحَيْتُ... وَيَقُول: سأْسأتُ بالحمار إذا قلت سَأْسَأْ[٥]، وفي اللسان: حَأْحَأَ بالتَّيْسِ: دعَاه، وحِئْ حِئْ: دُعاء الحِمار إِلَى الْمَاءِ [٦]، ويبدو أن الكلمة انتقلت دلالتها من زجر الغنم والتيس، كما ذكر الأزهري وابن منظور إلى حث الحمار على المشي، ومنها أخذتها العاميّة، أما كلمة الفأر في الفصحى فهي مهموزة، وقد جاء في مؤنثها التخفيف، كما ورد الهمز والتخفيف في الفأس.[٧]

ومما انحرفت فيه العاميّة في نطق الهمزة الساكنة وقبلها فتحة، كلمة (المأتم) حيث تحوّها العامّة إلى الياء فتقول: مَيْتم[٨]، والهمزة في (المأتم) أصلية بدليل الجمع على مآتم، ولا تخفيف وارد في الفصحى بخصوصها، وعلى فرض تخفيفها تقلب ألفًا لا ياء.

ومن تخفيف الهمزة الساكنة وقبلها كسر في العامي الفصيح، كلمة (البئر) ومن كلامهم: السر في بير.[٩]

وكل ما تقدّم في اسم الفاعل من الأجوف، أو في قلب الهمزة الساكنة

(١) ينظر: تاج العروس(أ ر خ) ٢٢٥/٧
(٢) ينظر: أدب الكتّاب للصولي١٧٨
(٣) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١١٩
(٤) ينظر: المعجم الوسيط ١٥٠/١
(٥) التهذيب ١٨٢/٥
(٦) ينظر: اللسان (ح أ ح أ) ٥٣/١
(٧) ينظر: اللسان(ف أ ر) ٤٢/٥، (ف أ س) ١٥٨/٦
(٨) ينظر: العامي الفصيح ١
(٩) ينظر: السابق٤

إلى جنس حركة ما قبلها، ما لم تأت فيه قراءة أو نص، ينبغي أن تعدّل فيه العاميّة إلى همزة مثل الفصحى.(١)

التخلّص من الهمزة في العاميّة بالحذف:

تخلصت العاميّة فيما جاء في العامي الفصيح من الهمزة عن طريق الحذف، وسلكت في ذلك طرقًا، منها ما هو في اللهجات العربية القديمة، ومنها ما غيّرت فيه عنها، وقد تحدث سيبويه عن تخفيف الهمزة بحذفها ونقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها، في مثل منَ بُوك، ومنُ مُك في تخفيف من أبوك، ومن أمك، ومنه قولهم في المرأة: المرة.(٢)

ومما سلكت فيه العاميّة مسلك الفصحى في التخلص من الهمزة بحذفها، ونقل حركتها للساكن الذي قبلها، مما جاء في العامي الفصيح كلمة (الأحمر)، فإذا كان الأحمر بدون أل خففت همزة القطع، وإذا كان بأل استغنوا عن همزة الوصل وحذفوا همزة القطع بعد نقل حركتها إلى اللام، فقالوا: لَحْمَر (٣)، وقد جاء حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها في قراءة عيسى وأُبيّ(الخَبَ) من قوله تعالى: ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (٤)، وَنَقْلُ الْحَرَكَةِ إِلَى الْبَاءِ، وَحَذْفُ الْهَمْزَةِ، حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ، عَنْ قَوْمٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي أَسَدٍ. (٥)

ومما حذفت فيه الهمزة في العاميّة، لا لغرض سوى التخفيف، الفعل(أخذ) يخففون الهمزة منه بحذفها، ويقلبون الذال دالًا ساكنة(٦)، فيقولون فيه:(خُدْ)، ومن ذلك كلمة (الأرز) التي ينطقونها (الرُّزّ)، ومن ذلك الفعل (جاء) الذي حذفت الهمزة من آخره، وهذا جائز في العربية(٧)، ثم

(١) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ٨٤
(٢) ينظر: الكتاب٣/٥٤٥
(٣) ينظر: العامي الفصيح ٢٧
(٤) من الآية٢٥ سورة النمل
(٥) ينظر: شواذ ابن خالويه ١١٠، البحر المحيط ٢٣١/٨
(٦) ينظر: سيأتي الكلام عن تحوّل الذال عن الحديث عن تحوّل الأصوات الأسنانية
(٧) ربما كان وجه جواز حذف الهمزة في العربية هو حذف همزة الممدود وهو كثير شائع شائع في العاميّة المصرية، ومنها مَن يضيف همزة للفعل فيصبح(إجا) ، وهذه الصيغة

ألحقت هاء السكت الساكنة، فحذفت الألف؛ لالتقائها ساكنة مع هاء السكت، فتصبح (جَـهْ)، وأكثر العوام يكسرون الجيم فيقولون: (جِـهْ)، ومن حذف الهمزة تخفيفًا كلمات (الحفاء) و(الخلاء) و(الدفاء) بدون همزة، ومن أمثالهم: الدفا عفا و(الرشأ) ولد الظبية عندهم(الرشا) بحذف الهمزة، وسمّوا بها بناتهم، و(مَأَن) القوم بلا همز احتمل قُوتهم[١]، ففي الأمثلة المتقدمة حذفت فيها الهمزة تخفيفًا.

إبدال الهمزة ياء:

تبدل الهمزة ياء أو واوًا في الفصحى إبدالًا قياسيًّا في مواضع منها، إذا كانت متحركة بعد واو أو ياء زائدة ساكنة، فتبدل الهمزة ياء إن كانت بعد ياء، وواوًا بعد واو[٢]، ومن إبدال الهمزة ياء في العامي الفصيح كلمة (خطيئة) غيّرها العوام بتسهيل الهمزة بقلبها ياء، ثم إدغام الياء في الياء، فقالوا: (خطِيَّة)[٣]، ومن ذلك (دنيء) يقلبون الهمزة ياء، ويدغمونها في ياء فعيل، ومثلها كلمة (رديء) تقلب الهمزة في العاميّة ياء وتدغم في ياء فعيل، ويظهر أكثر عندما تختم الكلمة بالتاء في الكلمتين السابقتين فيقال:(دنيّة) و(رديّة) [٤]، وكلمة (دنيء) الْعرب تَقول فيها: إِنه لَدَنِيّ فِي الأُمور، غير مَهْمُوز، يَتَّبِعُ خَسِيسَها وأَصاغِرَها، فأَمّا الخسيسُ فاللغةُ فِيهِ دَنُؤَ دَنَاءَةً، وَهُوَ دَنِيءٌ، بِالْهَمْز[٥]، وأورد الفيومي أن الرديء والرديّ باليـاء المشددة لغتان، فقال: رَدُؤَ الشَّيْءُ بِالْهَمْزِ رَدَاءَةً فَهُوَ رَدِيءٌ عَلَى فَعِيلٍ، أَيْ وَضِيعٌ خَسِيسٌ، وَرَدَا يَرْدُو مِنْ بَابِ عَلَا لُغَةٌ، فَهُوَ رَدِيٌّ بِالتَّثْقِيلِ.[٦]

ومن مواضع قلب الهمزة ياء أو واوًا في الفصحى كونها مفتوحة، فإذا

نسمعها من الزملاء في محافظة الشرقية على وجه الخصوص. ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ٤٣، ٤٤، ٨٥

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢، ١٨، ٢٦، ٤٠، ٤٧،٦١ ، ٢١٣

(٢) الكتاب٣/٥٤٧

(٣) ينظر: العامي الفصيح ٣٨

(٤) ينظر: السابق ٤٩، ٦٠

(٥) ينظر: تاج العروس(د ن أ)١/ ٢٢٩ وما بعدها

(٦) ينظر: المصباح المنير(ر د أ) ٢٢٥/١

كانت مفتوحة بعد كسر قلبت ياء، وإن كانت مفتوحة بعد ضم قلبت واوًا[١]، فمن قلبها ياء لفتحها بعد كسر مما جاء في العامي الفصيح(بنت خَطْيَة) و(ابن خَطْيَة) في (بنت خاطِئَة) و(ابن خاطِئَة) فسهلوا الهمزة بقلبها ياء، وحذفوا ألف المد وسُكِّنت الطاء[٢]، ومن ذلك(هَرِئَ اللحم) نضج أشد النضج، ويحرّف العوام هذا الفعل ومشتقاته، فيقولون: هَريَ، وهذا الحم مَهْرِيّ[٣]، والفعل هَرِئَ فيه لغات أخرى في الفصحى، ففي التاج: وهَرَأَ (اللَّحْمَ) هَرْأً: أَنْضَجَهُ كَهَرَّأَهُ بالتضعيف، وأَهْرَأَهُ رُباعيًّا عَن الفرَّاءِ، وَقد هَرِىءَ بِالْكَسْر.[٤]

ومما غيّرته العامّة بقلب الهمزة ياء، مما يعدّ تحوّلًا عن الفصحى، الهمزة التي حركتها الكسر وقبلها فتحة، ككلمة (الرئيس) غيّرتها العاميّة إلى (الرَّيِّس)، فإن الهمزة التي حالتها هكذا تخفف بين بين في الفصحى، وهنا تكون بين الهمزة والياء الساكنة، يقول سيبويه: "وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة"[٥]، ولكن العاميّة قلبت الهمزة ياء خالصة، وأدغمتها في ياء فعيل.[٦]

وفي نهاية الحديث عن التحوّل في صوت الهمزة أقول: إن تحقيق الهمز في اللهجات العربية هو لغة تميم وقيس، ومن جاورهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وتخفيفه هو لغة قريش والحجازيين[٧]، وهكذا نجد أن تخفيف الهمزة الهمزة بمختلف صورها يعزى إلى أهل الحجاز، ولعل ما في نطقهم من تؤدة وتأن يساعدهم على تمييز مقاطع كلامهم، أغناهم عن إبراز صوت الهمزة كوسيلة معينة أحيانًا على إبراز المقاطع.[٨]

وفسّر بعض المُحْدَثين ظاهرة تخفيف الهمز في العربية بنظرية السهولة

(١) ينظر: الكتاب ٥٤٣/٣
(٢) ينظر: العامي الفصيح ٣٨
(٣) ينظر: السابق ٢٣٧
(٤) ينظر: تاج العروس (هـ ر أ) ٥٠٨/١
(٥) ينظر: الكتاب ٥٤٢/٣
(٦) ينظر: العامي الفصيح ٧٠
(٧) شرح المفصل ٢٦٥/٥، في اللهجات العربية ٥٨
(٨) ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه ٣٢٥

والتيسير، التي تحاول التخلص من الأصوات العسيرة في النطق التي تتطلب مجهودا عضليًا كبيرًا باستبدالها بأصوات تتطلب مجهودًا أقل، وهذا ما دفع بعض القبائل العربية القديمة وعلى الأخص الحجازية إلى التخلص من الهمزة بتخفيفها بوسائل سبق بيانها، كما تخلصت منها اللهجات العربية الحديثة [١]، وتخفيف الهمزة لغة للعرب شائعة منذ القدم، وهو أمر سائغ، وبه جاءت القراءات القرآنية[٢]، ولكن ينبغي ألا يترك الأمر هكذا في العاميّة، فيقبل منه ما اتفقت فيه العاميّة مع اللهجات العربية القديمة المقبولة، وما عدا ذلك فينبغي ردّه إلى الفصحى.

تحوّل الأصوات اللهوية:

لقب الأصوات اللهوية يصدق على القاف والكاف؛ لأنَّ مَبْدَأهُما من اللهَاة[٣]، فالقاف مخرجها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف[٤]، وهي من اقصى الحنك عند المحدثين، والقاف لهوية في اللغة الفصيحة لا في اللهجات العاميّة[٥]، فالكاف صوت حنكي قصي انفجاري انفجاري مهموس، والنظير المجهور له هو الجيم القاهرية في اللغة العاميّة، والقاف صوت لهوي انفجاري مهموس عند المحدثين مجهور عند القدامى [٦]، والقاف التي تحدّث عنها القدماء ربما كان ينطق بها بما يُشبه نطقه الآن في عدد من المناطق مثل (G) بالإنجليزية، أو الجيم القاهرية في صعيد مصر.[٧]

والاختلاف بين القدماء والمحدثين في مخرج القاف لا يمنع من عملية التغير الصوتي بين القاف والكاف؛ لأن منطقة اللهاة التي يخرج منها صوت

(١) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٥٠ وما بعدها
(٢) ينظر: اصوات العربية بين التحول والإثبات٧١
(٣) ينظر: العين ٥٨/١
(٤) الكتاب ٤٣٣/٤
(٥) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٣
(٦) ينظر: السابق ١٤٠ وما بعدها
(٧) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ٩٨

القاف المهموسة عند المحدثين، والتي استعملها المعيار الفصيح ليست بعيدة عن منطقة أقصى الحنك، التي كانت مخرج القاف المجهورة عند القدامى[١]، ومن التحوّل في الأصوات اللهوية مما جاء في العامي الفصيح الفصيح ما يلي:

تحوّل القاف إلى الكاف:

ومن أجل العلاقة الصوتية بين القاف والكاف على النحو الذي سبق، فقد تحوّلت القاف إلى أختها الكاف في بعض الأمثلة العاميّة، فمن ذلك في العامي الفصيح: وقسّم الثوب فصّله تفصيلًا يبرز مقاسم لابسه، والعامّة تقول: كسّم، ولا مانع من استعمال كسّم بإبدال القاف كافًا، ومنه قاقتِ الدجاجة صوّتت، والعوام يقلبون القاف كافًا، ويقولون: كاكت.[٢]

وقد شاع في بني تميم قديمًا أنهم يلحقون القاف باللهاة ، يقول ابن دريد : فَأَما بَنو تَمِيم فَإِنَّهُم يلحقون الْقَاف باللهاة فتغلظ جدًا، فَيَقُولُونَ للْقَوْم: الكوم، فَتكون الْقَاف بَين الْكَاف وَالْقَاف، وَهَذِه لُغَة مَعْرُوفَة فِي بني تَمِيم؛ قَالَ الشَّاعِر:

وَلَا أَقول لقدر القوم قد غَلِيت ∴ وَلَا أَقول لباب الدَّار مكفول[٣]

ويبدو أن الكاف المحوّلة من القاف هي التي قال عنها الرضي: ومن المتفرعة القاف بين القاف والكاف.[٤]

وهذه المبدلة عند تميم من صور القاف المهموسة، وهي تختلف في الصفة عن القاف العربية التي درسها اللغويون ووصفوها بالجهر، وأغلب الظن أن كتب اللغة نقلتها كافًا؛ لعدم وجود رمز خاص بالقاف التميمية التي

(١) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ٦٢

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٧٦، ١٨٦

(٣) ينظر: الجمهرة ٤٢/١ من مقدمة المؤلف، الصاحبي ٣٠، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١٠٣، ١٠٤، لغة تميم ١٠١، والبيت المذكور من البسيط، وهو في الجمهرة :برواية كد نضجت، وفي الصاحبي قد نضجت ينظر: الجمهرة والصاحبي في الصفحات المذكورة ، والبيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص ٣٥٣ برواية:

ولا أقول لقِدر القوم قد غَلِيت ولا أقول لباب الدار مغلوقُ

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب٢٥٧/٣، أصوات العربية بين التحول والإثبات٧٤

تسمى القاف المعقودة[١] ، ويسميها بعض الباحثين المحدثين القاف الطبقية، فهي صوت مجهور شديد انفجاري منفتح، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي، مع ذبذبة الوترين الصوتيين واهتزازهما.[٢]

ومن تحوّل القاف إلى الكاف قراءة (فلا تكهر) وهي لابن مسعود وإبراهيم التيمي بالكاف، وَهِيَ لُغَةٌ بِمَعْنَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ(تقهر) [٣]، يقول ابن السكيت: ويقال: قهرت الرجل أقهره، وكهرته أكهره، قال: وسمعت بعض بني غنم بن دودان من بني أسد يقول: (فلا تكهر)[٤]، وغنم قبيلة بدوية؛ لأنها من بني أسد، فنطقت بالكاف لأنه شديد، وكان هذا عوضًا عن الجهر بالصوت. [٥]

ويبدو لي أن الكاف في العاميّة والمنقلبة عن القاف في الأمثلة المتقدمة هي التي بين القاف والكاف أيضًا، والتي سماها بعضهم القاف الطبقية على نحو ما سبق؛ حيث تقدّم مخرج القاف من اللهاة إلى الطبق، فنتج عن هذا الصوت الطبقي[٦]، وهي موجودة في صعيد مصر، ومعظم مديريتي الشرقية والبحيرة، وبعض مديرية المنوفية، وجميع سكان البوادي في مصر، فهم ينطقون القاف منحرفة إلى الكاف، ويفخّمونها فتشتبه بالجيم القاهرية، ويعتقد الدكتور الجندي أن تميمًا لما نزلت مصر أيام الفتح الإسلامي نزلت الصعيد؛ لأنهم ينطقون القاف كالكاف الفارسية[٧]، وربما سرت من الصعيد إلى باقي المحافظات الأخرى.

وانحراف القاف إلى الكاف معناه، أن مخرج القاف قد تقدّم إلى الأمام

(١) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ١٠٣، ١٠٤
(٢) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٢٦٤، وقارن ب المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٥٤، ٥٥
(٣) ينظر: البحر المحيط ٤٩٨/١٠
(٤) ينظر: كتاب الإبدال لابن السكيت ١١٤
(٥) ينظر: الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه٢٥٧
(٦) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٢٦٩- ٢٧٠
(٧) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٤٦٤/٢ ، إبدال الحروف في اللهجات ٢٧٠

حيث مخرج الكاف، ثم همس الصوت[١]، يقول الدكتور أنيس بعد أن تحدّث عن تطور القاف إلى الجيم القاهرية بتقدم المخرج إلى الأمام: على أنه إذا حدث تطور آخر في المستقبل للقاف، كما ننطق بها الآن في قراءاتنا، فسيكون حتمًا بأن تقلب كافًا؛ لأن كليهما صوت شديد مهموس [٢]، يقول أحد الباحثين: إن مخرج القاف تقدم قليلًا عند بعض المصريين من أهل الصعيد مثلًا، نحو الحنك الصلب، فآل إلى كاف مجهورة، فيقولون في قال: كال، وفي دقة: دكة.[٣]

ولا شك أن القاف هي الأصل بسبب وصفها بالجهر عند القدماء، ثم تغيّرت إلى الكاف المهموسة، واللهجات الحديثة تميل إلى هذا النوع من التغيير. [٤]

تحوّل القاف إلى الهمزة:

تحوّلت القاف إلى الهمزة في لهجة القاهرة وضواحيها وبعض المدن المجاورة، فمن ذلك مما جاء في العامي الفصيح، جميع المفردات المأخوذة من مادة(ح ق د) كالحقد والحاقد والمحقود، بمعنى إضمار العدواة، وكذلك مادة (ح ق ق) ومنها كلمة (الحق) ومفردات أخرى، وكذلك ما أخذ من مادة(ح ق ن) كالحقن، والحقنة، و(ح م ق) كفلان أحمق، وحماقة من فلان، وبعض مفردات (ق ب ح) كالقباحة وغيرها، وبعض مفردات(ق ر أ) كقولهم: نتعلم الإراية في (القراءة)، وفي كلمة (القرنفل) إذا أبدلوا القاف همزة ضموها وقالوا: أُرنفل، وكلمة (القرو) وهي خشب له ألياف قصيرة مزركشة متين جدًّا، يشيع استعماله في صنع الأثاث(مجمعية)، وأكثرهم يقلبون القاف همزة.[٥]

وذكر الدكتور شوقي ضيف أن أهل القاهرة يُبدلون القاف همزة منذ

---

(١) ينظر: لغة نميم ١٠٢، ١٠٥، بحوث ومقالات في اللغة١١
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٣
(٣) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات ٣٠
(٤) ينظر: التغير التاريخي للأصوات٦٤، ٦٥
(٥) ينظر: العامي الفصيح ٢٦، ٢٨، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٥

عصر المماليك ميلًا إلى التخفيف، وتبعها على مرّ الزمن بعض مدن الوجه البحري.(١)

وليس من علاقة صوتية تبرر تحوّل القاف إلى الهمزة، فالهمزة حلقية، والقاف لهوية، وليس بينهما سوى الاشتراك في بعض الصفات، كالجهر والشدة والإصمات والانفتاح؛ لذا وردت أمثلة بالقاف مرة، وبالهمزة أخرى في بعض مصادر التراث، دون عزو أي صورة منها إلى قبيلة معينة، ومنها: أن كل ما أُشب وقُشب فقد خلط، وعن أبي عمرو الأَفْز والقَفْز الوثب(٢)، ومنه وزَنَّأَ عَلَيْهِ إِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ، مُثَقّلةٌ مَهْمُوزَةٌ، وَيُقَالُ: أَزْنَقَ وزَنَقَ وزَنَّقَ... ذا ضَيَّقَ عَلَى عِيَالِهِ، فَقْرًا أَو بُخْلًا(٣)، وما سبق يرد على أحد الباحثين الذي ادعى أن قلب القاف همزة، لم يجد له أصلًا في اللهجات العربية القديمة، وحذّر من القول بالإبدال أو التحوّل في الحديث مما لا أصل له في القديم.(٤)

وقد حدث إبدال القاف همزة في إحدى اللغات السامية وهي اللغة الفينيقية(٥)؛ إذ تحولت القاف فيها في بعض الأعلام إلى الهمزة، ثم سقطت الهمزة كما سقطت الهمزات الأصلية في اللغة الفينيقية.(٦)

وبعض المُحْدَثين يرون أنه لا مبرر لقلب القاف همزة أيضًا، وبخاصة أن اللهاة وهي مخرج القاف بعيدة تشريحيًّا عن الحنجرة، وهي مخرج الهمزة عندهم، والقاف عندهم مهموسة، والهمزة لا توصف بجهر ولا بهمس، كما أن الملاحظ في تغير المخارج أنها في الغالب تتجه إلى الأمام لا إلى الخلف.(٧)

ونظرًا لما تقدم فقد اجتهد المُحْدَثون في التعليل لقلب القاف همزة في

(١) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات١٥٩، وما بعدها
(٢) ينظر: الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٥٦١/٢، ٥٦٢
(٣) ينظر: السان(ز ن أ) ٩١/١، (ز ن ق) ١٤٦/١٠
(٤) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات٧٤
(٥) اللغة الفينيقية هي إحدى فروع الكنعانية، وهي لغة النقوش التي وصلت إلينا من ساحل الشام ومن جنوب أوربا وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط. ينظر: مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي ١٧١، دار قباء للطباعة وانشر
(٦) ينظر: بحوث ومقالات في اللغة ١١
(٧) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١٣٠

العاميّة، فيرى الدكتور أنيس أن تطوّر القاف إلى الهمزة، يعني أن مخرجها قد انتقل إلى الخلف- على غير الغالب- باحثًا عن أقرب الأصوات شبيهًا به من الناحية الصوتية، فتعْمُق القاف في الحلق عند المصريين، فلا تصادف القاف ما يشبهها من أصوات الحلق إلا الهمزة؛ لوجود صفة الشدة في كل منهما، فليس غريبًا إذن أن تطورت القاف في لغة الكلام عندنا إلى الهمزة، فليس بين أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة [١]، وقد رجح هذا الرأي أحد الباحثين بناء على أن الجامع بين القاف والهمزة صفة الشدة[٢]، وقال أحدهم: رجع صوت القاف الفصيحة من اللهاة إلى الوراء كثيرًا عند بعض المصريين، حتى جاء مخرجه من الوترين الصوتيين بانطباقهما، فصار همزة.[٣]

ومنهم من يرى أن ثقل القاف وصعوبة النطق بها، كان سببًا في تطورها تطورات كثيرة في اللهجات الحديثة، فأحيانًا ينطق بها همزة، وأحيانًا جيمًا خالية من التعطيش[٤]، وعزا أحد الباحثين انقلاب القاف إلى الهمزة في لهجة أهل القاهرة وبعض المدن إلى ما يسمى بالعادة اللغوية لمنطقة ما SUBSTRAT[٥]، وأرجع برجشتراسر ذلك إلى ما سماه بذوق العصر، وذكر وذكر أن بعض أهل القاهرة كان قد استخشن نطق القاف واستغلظه، فأبدله بالهمزة، وهذه العادة سادت بين أهل القاهرة الخاصّة ثم العامّة، ثم سرت منها إلى بعض المدن الكبيرة كدمشق، ثم إلى أصغر منها كالقدس الشريف [٦]، وما ذكره برجشتراسر في تعليله غير كاف، لأن أي تغيير أو تحويل في اللغة يسير نحو التيسير والتسهيل؛ ذلك لأن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تميل إلى الصعوبة، وإنما تخضع في الأغلب إلى قوانين السهولة، فالانتقال من

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٣، بحوث ومقالات في اللغة ١٢
(٢) ينظر: صوت القاف قديمًا وحديثًا ١٦٨
(٣) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات ٣٠، ٧٤
(٤) ينظر: موسيقى الشعر٢٦
(٥) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٤٠
(٦) ينظر: التطور النحوي ٢٨، لحن العامة والتطور اللغوي ٤٠، صوت القاف قديمًا وحديثًا١٦٨

القاف إلى الهمزة فيه من الصعوبة ما لا يخفى على صاحب الطبيعة السليمة، وهو انتقال من صوت صعب إلى ما هو أصعب منه(١)، ومنهم من يعرض تعليله لتفسير تحوّل القاف إلى همزة في صورة سؤال ينتظر الإجابة، وهو هل نطق القاف همزة ناتج عن رقة الحضارة المعاصرة؟ فنحن نلحظ أن بعض السيدات الانجليزية يلفظن(t) إذا وقع متأخرًا في العبارة أو الكلمة همزة، فكلمة(water) تلفظ ووأر، وعبارة (yus it is) تلفظ: (يس از).(٢)

وما ذكره هذا الباحث تقليد أعمى للأعاجم لا يصح حتى في أمور الحياة العادية، ومن ثم فإنه لا يمكن قبوله كتفسير صوتي لما حدث من انقلاب القاف إلى الهمزة، ويبدو أن الباحث نفسه قد أحسّ بضعف تفسيره؛ لذا نجده يقول: إن هذه الظاهرة الصوتية تحتاج إلى مزيد من البحث والتجارب التقنية كما أرى؛ إذ إن الباحث يَحار في تعليل النطق لبعض سكان القاهرة، عندما يقولون: أأع أو هأع بدلا من أقع، وفي هذا مشقة في النطق.(٣)

والذي يبدو لي وأرجحه إضافة لما ذكرته عن الدكتور أنيس سابقًا، أن تحوّل القاف إلى الهمزة هو تخلص من الصوت المستعلي المفخم وهو القاف، فالحروف المستعلية المفخمة صعبة النطق، نتيجة تصعّد أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى في المستعلية، ولشدة وقع الأصوات المفخمة على الأذن؛ لذا سعت العاميّة إلى التخلص من كل ذلك، حتى وإن كان الصوت المحوّل إليه هو الهمزة.

تحوّل القاف إلى الجيم القاهرية:

تحوّلت القاف في العاميّة إلى الجيم القاهرية، ومن ذلك مما جاء في العامي الفصيح كلمة(القباحة) تنطق القاف فيها عند بعض العوام همزة، وعند بعضهم كالجيم القاهرية، ومثلها تمامًا كلمة(القراءة)، فيقولون: نتعلم

(١) ينظر: صوت القاف قديمًا وحديثًا ١٦٨
(٢) ينظر: الأصوات المتحولة ١٣٠- ١٣١
(٣) ينظر: السابق ١٣٠- ١٣١

الإراية أو الجراية والكتابة، وكلمة(القرب) [١]، فجميع الكلمات المذكورة تنطق القاف فيها همزة عند سكان القراءة وضواحيها، وبعض مدن الوجه البحري، وقد سبقت محاولة التعليل لذلك، أما أهل الصعيد فينطقون القاف جيمًا كالجيم القاهرية؛ ميلًا إلى التخفيف[٢]، ونطق القاف كالجيم القاهرية هو الشائع في نطق القاف بصورة (گ)، و(g)، ولا سيما أن هذا النطق له جذور قديمة في تراثنا القديم؛ إذ أشار سيبويه إلى وجوده في كلام بعض العرب، فقال : والكاف التي بين الجيم والكاف، وعدها من الحروف غير المستحسنة ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر[٣]، وعدّها ابن جني من الأصوات التي لا توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة، غير متقبلة.[٤]

ونطق القاف كالجيم القاهرية – ولكنها أعمق منها في أقصى الفم، وأكثر استعلاء – منتشر في بعض البيئات بصعيد مصر، وبين كثير من قبائل البدو في الصحراء[٥]، فالقاف كما تنطق في بعض اللهجات العاميّة في البلاد العربية صوت حنكيّ قصيّ انفجاريّ مجهور، ووجوده بهذه الكثرة في هذه اللهجات يُوحي بأنه أثر باق لنطق قديم؛ إذ انتشاره في هذه البيئات المختلفة يُضعف احتمال كونه ابتكارًا لغويًّا محليًّا، أما الجيم القاهرية فهي أيضًا صوت قصي انفجاري مجهور[٦]، وقد أكّد أحد الباحثين العلاقة الصوتية بين القاف والجيم القاهرية، فذكر أن بين القاف والجيم القاهرية تقاربًا في المخرج، فهما معًا من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وصفة

(١) ينظر: العامي الفصيح١٦٨، ١٧٢، ١٧٥
(٢) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ١٥٩، ١٦٠
(٣) ينظر: الكتاب ٤٣٢/٤، وقارن بصوت القاف في لهجة مدينة الناصرية دراسة تطبيقية٥٠
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ٥٩/١، صوت القاف في لهجة مدينة الناصرية ٥٠
(٥) ينظر: الاصوات اللغوية ٧٣
(٦) ينظر: علم اللغة العام القسم الثاني (الأصوات)١٤٢، ١٦٥، أصوات اللغة العربية للدكتور عبدالغفار هلال١٥٣

الجهر تجمع بينهما باعتبار أصل القاف العربي مجهور(١)، وفي تحوّل القاف إلى الجيم القاهرية انتقل مخرج القاف إلى الأمام، فوجد أن أقرب المخارج الجيم القاهرية والكاف، فلا غرابة أن يتطور إلى أحدهما، وقد رجّح تطور القاف في لغة البدو وبعض أهالي صعيد مصر إلى الجيم القاهرية، أن القاف في الأصل صوت مجهور، فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور يُشبهها صفة؛ لذا اختارت القاف في تطوّرها الأمامي الجيم دون الكاف؛ لأن كلًّا من القاف الأصلية والجيم القاهرية صوت شديد مجهور(٢)، ونظر الدكتور أنيس في كتاب آخر من كتبه إلى الصوتين القاف والجيم باعتبار ما صار له نطق الصوتين عند المُحْدثين، قبل تحوّل القاف إلى الجيم القاهرية، فهو يرى أن تحوّل القاف المهموسة إلى جيم خالية من التعطيش، أي الجيم القاهرية المجهورة في بعض اللهجات العاميّة، يعود إلى أن الأحرف المهموسة تحتاج إلى قدر أكبر من هواء الرئتين، مما تتطلبه نظائرها المجهورة، فالأحرف المهموسة مجهدة للنفَس(٣)، وعلى كل فإن مخرج القاف انتقل إلى الأمام، وبناء على وصف القدامى فإنه يجمع القاف الأصلية والجيم الاشتراك في الشدة والجهر، وعلى وصف المحدثين فالقاف المهموسة قد تطورت إلى الجيم القاهرية المجهورة؛ نظرًا لاحتياج الأصوات المهموسة إلى كمية أكبر من الهواء الخارج من الرئتين عن الأصوات المجهورة.

ويرى أحد الباحثين أن العدول عن القاف نابع من أن القاف أحد الأصوات المستعلية، والميل إلى الجيم أو إلى الكاف للتخفيف من الجهد العضلي (٤)، وهو ما أميل إليه عملاً بمبدأ السهولة والتيسير.

والعرب قديمًا عاقبوا بين القاف والجيم، فمن ذلك والتحديج، مثل التحديق، والمزلاق: لغةٌ في المِزْلاج الذي يُغْلَق به الباب ويفتح بلا مفتاح،

(١) ينظر: أصوات اللغة العربية للدكتور عبدالغفار هلال ١٥٤، صوت القاف في لهجة مدينة الناصرية دراسة تطبيقية ٥١
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية٧٣، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٨١
(٣) ينظر: موسيقى الشعر٣٠، الأصوات العربية المتحولة١٢٩
(٤) ينظر: خصائص اللهجة الحلية٦٧

ومكان زَلْجٌ وزَلَجٌ أيضاً بالتحريك، أي زَلَقٌ، والتَزَلُّجُ: التَزَلُّقُ[١]، وعن أبي عمرو: إنه لحسن الجِسم وحسن القِسم بمعنى واحد، وهي البوائج والبوائق أي الشدائد والدواهي، ويقال: ما أعطاني زِنجيرة ولا زِنقيرة، وهي القطعة من قلامة الظفر، أي ما أعطاني شيئًا[٢]، والقاف القديمة لهوية مجهورة، والجيم الفصحى شجرية مجهورة، تباعدا مخرجًا واتفقا في الجهر.

ولا شك أن في التحوّل من القاف إلى الكاف، أو الهمزة، أو الجيم القاهرية، تخلّص من الصوت المستعلي المفخم، الذي يحتاج إلى جهد عضلي مبذول في نطقه، أكثر من الأصوات المحوّل إليه وهي الكاف أو الهمزة أو الجيم.

تحوّل الأصوات الشَّجَرية:

الشَّجَرية لقب يصدق على أصوات الجيم والشِّين والضاد؛ لأن مَبْدَأها من شجْر الفم، أي مَفرج الفَمِ[٣]، وسيبويه جعل مخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، ويأتي بعدهما مخرج الضاد، فهو من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس [٤]، وفيما يلي بيان بما تحوّلت فيه الأصوات الشجرية في العامي الفصيح:

تحوّل الجيم إلى الدال عند بعض أهل الصعيد:

تحوّلت بعض الأصوات الشجرية إلى أصوات أخرى، فالجيم تحوّلت إلى الدال في الوجه القبلي، ومن أمثلة ذلك كلمة(الجُبّة) يُبدلون الجيم دالا[٥]، وصوت الجيم عند القدامى شديد، وقد تحوّل صوت الجيم في العربية الفصحى من الطبق إلى الغار، أي من أقصى اللسان إلى وسطه، كما تحوّل من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين

(١) ينظر: الصحاح (ح د ج) ٣٠٥/١، (ز ل ق) ١٤٩١/٤، (ز ل ج) ٣١٩/١
(٢) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٢٤٠/١- ٢٤٣
(٣) ينظر: العين ٥٨/١
(٤) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٥) ينظر: العين١٣

مجهورة[١]، وكان هذا بفعل ما يسمى بقانون الأصوات الحنكية، فقد لاحظ علماء الأصوات أن أصوات اقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، كالجيم القاهرية مثلا، تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، حين تليها حركة أمامية كالكسرة؛ لأن هذه الحركة الأمامية في مثل هذه الحالة تجتذب إلى الأمام قليلًا أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج، أي الجامع بين الشدة والرخاوة، ومن الأصوات التي خضعت لهذا القانون في العربية صوت الجيم، فإن مقارنة اللغات السامية كلها تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تمامًا.[٢]

والجيم صوت انفجاري احتكاكي عند المحدثين، فهو يحبس الهواء عند النطق به، ثم يعقبه انفجار بطيء، يتلوه مباشرة احتكاك مسموع ، فهو صوت مركب، الجزء الأول منه صوت قريب من الدال، والثاني صوت معطش كالجيم الشامية، أو الجزء الأول منه صوت قريب من جيم القاهرة، والثاني يشبه الجيم الشامية، وهذان الافتراضان مبنيان على أساس الاختلاف في موضع نطق هذا الصوت عند المتكلمين، والاحتمال الأول يفسر نطق هذا الصوت المركب بالدال كما يفعل أهل الصعيد في نحو: ديش بدلا من: جيش، والاحتمال الثاني يفسر نطق القاهريين له بالجيم الانفجارية، فالجيم الفصيحة المعاصرة كما ينطقها القُرَّاء اليوم صوت لثوي حنكي مركب(انفجاري احتكاكي) مجهور[٣]، أما صوت الدال المُحوّل إليها فهي والتاء والطاء أصوات نطعية عند الخليل، ومخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[٤]، والدال عند المُحْدَثين صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور[٥]، وقد ذكر الدكتور أنيس ان تحوّل الجيم الفصيحة إلى الدال هو تحوّل إلى صوت بعيد

(١) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٢٥، الأصوات العربية المتحولة ٨١-٨٢
(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١٣٢، التغير التاريخي للأصوات ٥٧
(٣) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات) ١٦١- ١٦٢
(٤) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٥) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢، ١٢٩

عنها إلى حد كبير، ولكنه عاد فذكر أنه تطور تبرره القوانين الصوتية، ففي حالة تطورها إلى الدال اقتربت قليلًا بمخرجها إلى الأمام، وبذلك زادت شدة وانقطع التعطيش، وفي حالة تطورها إلى الجيم القاهرية تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلًا، مع زيادة الشدة وانقطاع التعطيش أيضًا(١)، ويرى باحث آخر أن من التغيرات التاريخية لصوت الجيم، انحلاله إلى أحد عنصريه المكونين له في اللهجات العربية الحديثة؛ إذ ينطق كالدال في صعيد مصر، والمكون الثاني للجيم وهو الشين المجهورة نسمعه جيدًا في نطق الشوام لهذا الصوت، وهو ما نسميه بالجيم الشامية(٢)، ويرى أحد الباحثين أن نطق الجيم مركبة فيه قدر من الصعوبة؛ لذا انحلت في اللهجات الحديثة إلى أحد مكوناتها.(٣)

وإبدال الجيم إلى الدال قديم في اللهجات العربية، فنقل عن ابْن الأَعرابي قوله: هُوَ الإِجْل والإِدْل، وَهُوَ وجَع الْعُنُقِ مِنْ تَعادِي الوِساد(٤)، والدَّشُّ: اتخاذُ الدَّشِيشةِ، وَهِيَ لُغَةٌ فِي الجَشِيشة(٥)، ويبدو أن انحراف الجيم إلى الدال في العاميّة قديم، فذكر الزبيدي أن العوام يقولون لما طُحن من البُر وغيره غليظا: دشيش، والصواب جشيش(٦)، ويقولون: تدشيت، والصواب تجشأت بالجيم والهمزة.(٧)

تحوّل الشين إلى السين:

تحوّلت الشين إلى السين في العاميّة، فمن ذلك مما جاء في العامي الفصيح: والشجاع من معجمهم، وبعضهم يجعل الشين سينا(٨)، والشين

(١) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٠- ٧١، أصوات اللغة العربية ١٥٦، المدخل إلى علم اللغة ٥١، الأصوات العربية المتحولة ٨٢-٨٣

(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٢٥- ٢٦

(٣) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ٥٧

(٤) ينظر: اللسان(أ ج ل) ١١/١١

(٥) ينظر: السابق(د ش ش) ٣٠٢/٦

(٦) ينظر: لحن العوام للزبيدي ٧٧، المدخل إلى تقويم اللسان ٢٦٢ لحن العامة والتطور والتطور اللغوي٢٤٢، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٢٦

(٧) ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان ٢٦٦، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٢٦

(٨) ينظر: العامي الفصيح٨٦

ومعها الياء والجيم من وسط اللِّسَانِ، والسين ومعها الزاي والصاد مما بين طرف اللسان والثنايا[١]، وكل من الشين والسين صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس[٢] ويشتركان في الاحتكاك والهمس والانفتاح والاستفال والإصمات والترقيق، وكلاهما سهل النطق، ومن غير المعقول أن تتغاير صفاتهما، أو أن يقعا تحت تأثير قانون السهولة والتيسير، فالتغيّرات التي تحدث بينهما كقلب السين شينًا، أو العكس لا تعود إلى تأثير هذا القانون[٣]، ونظرا للعلاقة للعلاقة القوية بين السين والشين، وهي الاشتراك في الهمس والرخاوة وقرب المخرج، صح التعاقب بينهما في الساميات[٤] ويرى أحد الباحثين أن قلب الشين سينًا، قد حدث في القرون الأولى من العهد المسيحي، ويدل على ذلك بعض التردد في كتابة الشين والسين في النقوش النبطية والتدمرية.[٥]

ونظرا للأمثلة الكثيرة التي حدث التعاقب فيها بين السين والشين في الساميات، ومنها العربية، فقد استنبط العلماء أن السبب في تعاقب السين والشين بالإضافة للعلاقة الصوتية المبيّنة سابقًا، هو وجود تداخل في النطق بسبب وجود صوت ثالث – غير السين والشين– قريب من السين والشين معًا، وهو الصوت الذي ذكر برجشتراسر أنه يشبه نطق الألمان لكلمة(ish) بمعنى أنا، وهو ما يرمز له بالرمز(s)[٦]، يقول برجشتراسر: وأما السين والشين فكانتا في الأصل ثلاثة أحرف، هي السين والشين وثالث لا نعرف نطقه الاصلي تمامًا، وربما كان سينًا جنبية، مخرجها من حافة اللسان أو شجرية، فالسين العربية نشأت من حرفين، السين السامية الأصلية في بعض الكلمات، والشين في بعضها، والشين العربية نشأت من السين الجنبية أو

(١) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٢) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٥٣ ــ ١٥٤، الأصوات اللغوية٦٨-٦٩
(٣) ينظر: التغير التاريخي للأصوات١٥٢- ١٥٣
(٤) ينظر: اللهجات العربية في التراث٤٥٦/٢
(٥) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن ١٩٦
(٦) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ١٥٣، التطور النحوي٢٤، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي٢١٧

الشجرية.[١]

ولعل الذي دعاهم إلى استنباط ذلك، أنهم وجدوا في الخط العبري، والخط العربي الجنوبي رمزين لنطق السين، ولما كان من المستبعد أن يجعل واضع الخط رمزين مختلفين لنطق واحد، فإنهم استنبطوا واعتقدوا أن الحرف لم يكن في السامية الأم سينًا، بل كان نطقًا بين السين والشين[٢]، وقد أرجع الدكتور الجندي الإبدال بين السين والشين لا إلى العلاقة الصوتية بينهما فقط، لكن إلى أمراض الكلام التي لاحظها، واستدل بما ذكره ابن جني في قوله: وأما ما يحكى عن سحيم من قوله:

فلو كنت وردا لونه لعسقتني ∴ ولكن ربي سانني بسواديا

فإنما قلب الشين سينًا لسواده، وضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة، وإنما هو كاللثغ، يريد: لعشقتني، وشانني في لعسقتني وسانني.[٣]

وهناك أمثلة عديدة للتعاقب بين السين والشين في اللهجات العربية القديمة، منها ما جاء عن الفراء أنه يقال: ناقة سرداح وشرداح في جسمها وعظمها، قال: وقال بعض العقيليين: ألحق الحَسّ بالأَسّ، قال وسمعتهما بالشين من بعض بني كلاب، والمثل ألحق الحَسّ بالأَسّ[٤]، فالنطق بالشين في المثل السابق عزي للعقيليين، وإلى بني كلاب، وعزي في اللسان إلى بني أسد[٥]، ومنه: مضى جرْس من الليل وجرْش من الليل، أي قطعة، وحمِس الشر وحمِش، أي اشتد.[٦]

(١) ينظر: التطور النحوي ٢٤
(٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي٢١٧
(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب ٢١٦/١، اللسان (ع س ق) ٢٥١/١٠، اللهجات العربية في التراث٤٥٦/٢، والبيت من بحر الطويل، وهو في في ديوان سحيم ٢٦ تحقيق الميمني برواية: فلو كنت وردا لونه لعشِقتني ولكن ربي شانَني بسواديا
(٤) ينظر: القلب والإبدال لابن السكيت ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي٤٠، والمثل المذكور في مجمع الأمثال٢٠٥/٢، وفي المستقصى في أمثال العرب٣٢٨/١ ألصقوا الحس بالاس، والحس الشر، وأس الرجل أصله، وقالوا: ألحق الشر والاستيصال بأهله. وينظر: اللسان(أ س س) ٦/٦
(٥) ينظر: اللسان(ح ش ش) ٢٨٥/٦
(٦) ينظر: الإبدال لأبي الطيب ١٥٨/٢- ١٥٩

وعلّق أحد الباحثين على كثرة الأمثلة التي تعاقبت فيها السين والشين بأن العربية كانت تملك صوتًا بين السين والشين، وقد تعامل العرب معها تعاملًا مزدوجًا، فبعض البيئات حوّلته إلى السين، بينما حوّلته بيئات أخرى إلى الشين، مما ساهم في توليد كلمات رويت بالسين والشين معًا، ومما يشهد لذلك أن وضع هذين الصوتين في اللغات السامية ليس بمختلف كثيرًا عن وضعه في العربية، فهما في هذه اللغات شديدا التداخل. (١)

تحوّل الأصوات الأسْلية:

الأصوات الأسْلية لقب يصدق على أصوات الصاد والسين والزاي، وسميت أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرفه(٢)، ومخرجها مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا(٣)، وتسمى الأصوات اللثوية(٤)، فالصاد صوت لثوي احتكاكي مهموس مفخم مطبق، والسين تشترك معها في الاحتكاك والهمس، وتشترك معهما الزاي في الاحتكاك ولكنها مجهورة، فالزاي هي النظير المجهور للسين(٥)، وتشترك الأصوات الثلاثة في صفة الصفير، يقول سيبويه في حديثه عن إدغام حروف الصفير: "أما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"(٦)، وإنما سُمِّيت بحروف الصفير؛ لأنك إذا قلت: (أصْ، أزْ، أسْ) سمعت لهن صوتًا يشبه الصفير؛ لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان، فينحصر الصوت هناك إذا سكنت، ويأتي كالصفير(٧)، ومن تحوّل الأصوات الأسلية في العامي الفصيح ما يلي:

تحوّل الصاد إلى السين:

وتحوّلت الصاد في العاميّة المصرية إلى السين، ومن ذلك مما جاء في

(١) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ١٥٦
(٢) ينظر: العين ٥٨/١
(٣) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٤) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٣
(٥) ينظر: السابق ١٥٣- ١٥٤، الأصوات المتحولة ١١٥، إبدال الحروف في اللهجات٣٧٥
(٦) ينظر: الكتاب ٤٦٤/٤
(٧) ينظر: نهاية القول المفيد ٧٩

العامي الفصيح، صبغ الثوب والصباغة، وبعض من مشتقات (ص ب غ) يعرفون هذه المفردات، وتقرب الصاد عندهم من السين، ومنه: والصدار ثوب يُغَطَّى به الصدر، والعوام ينطقونها سِديري، ومنه: ويعرفون الصراخ والصريخ، ومنهم من يبدل الصاد سينًا، ومنه: الصَّقْع شدة البرد، ولكنهم يبدلون الصاد سينًا.(١)

والصاد التي هي قريبة من السين، أو التي تحوّلت إلى سين، يبدو أنها هي التي عناها سيبويه بقوله: الصاد التي كالسين، وعدّها من الحروف غير المستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر.(٢)

والذي يبدو أن الباعث وراء تحولّ الصاد إلى السين هو قانون السهولة والتيسير، فالسين أخف من الصاد؛ لأنها صوت مرقق، والصاد صوت مفخم(٣)، وهذا ما يؤكده الدكتور أنيس؛ حيث ذكر إن أصوات الإطباق الضاد والطاء والظاء والصاد، تتطلب للنطق بها وضعًا خاصًا للسان، يُحمّل المتكلم بعض المشقة، إذا قيست بنظائرها من الأحرف غير المطبقة، مثل الدال والتاء والذال والسين، وقد أدّت صعوبة النطق بحروف الإطباق، أننا نلحظ الميل إلى التخلّص منها في اللهجات الحديثة.(٤)

تحوّل الأصوات النَّطْعيّة:

النَّطْعية هو لقب لأصوات الطاء والتاء والدال؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى(٥)، ومخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا(٦)، وهي عند عند المُحْدَثين أصوات أسنانية لثوية، ومعها أصوات الضاد الحديثة واللام والنون(٧)، والأصوات النطعية تحوّل بعض منها إلى أصوات أخرى، وتحوّل

(١) ينظر: العامي الفصيح ٩٤،٩٥، ٩٧
(٢) ينظر: الكتاب ٤٣٢/٤
(٣) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ٨٣
(٤) ينظر: موسيقى الشعر٢٧، الأصوات العربية المتحولة ١١٨
(٥) ينظر: العين ١/ ٥٨
(٦) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٣
(٧) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢

بعضها إلى صوتي نطعي آخر، وفيما يلي بيان ذلك:

تحوّل الدال إلى الضاد الحديثة:

تحوّلت الدال إلى الضاد الحديثة في العاميّة المصرية ، ومن ذلك في العامي الفصيح، كلمة فارسية معربة هي الدوبارة، وهي خيط غليظ، والعامة يعرفونها

بالضاد[١]، والذي يبدو لي أن الضاد المحوّل إليها هي الضاد الحديثة، التي لا تختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الإطباق [٢]، فهي تُعدّ النظير المفخم للدال، أي إنها صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال، مع فارق الإطباق، حيث ينحبس الهواء معها عند التقاء طرف اللسان بأصول الأسنان العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا، سمعنا صوتا انفجاريًّا هو الضاد كما تنطق في مصر.[٣]

ومع أن الضاد صوت مطبق مفخم، والاصوات المطبقة صعبة النطق تسعى العاميّة إلى التخلص منها، إلا أن العلاقة الصوتية بين الدال والضاد الحديثة هي التي سمحت بتحوّل الدال إلى الضاد الحديثة.

تحوّل الدال إلى الطاء:

تحوّلت الدال إلى أختها الطاء في العاميّة المصرية، فمن ذلك مما جاء في العامي الفصيح: والغُدْفَة شبه القناع تلبسه نساء الأعراب، والعامّة يقولون: غُطْفَة[٤]، ومخرج الدال والطاء والتاء عند القدامى مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[٥]، وهي عند المحدثين أصوات أسنانية لثوية [٦]، والدال مجهورة وكذا الطاء عند الأقدمين[٧]، فلا فرق بين الطاء والدال سوى

---

(١) ينظر: العامي الفصيح ٥٠- ٥١، المعجم الوسيط ٣٠٢/١

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ٥١

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ٥١، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٦

(٤) ينظر: العامي الفصيح ١٤١، المعجم الوسيط (غ د ف) ٦٤٦/٢

(٥) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٣

(٦) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢

(٧) اختلاف القدامى والمحدثين في الطاء بين جهرها وهمسها لا يعني أن أحد الفريقين تجاوز الصواب في رأيه، بل إن راي كل منهما مبني على أساس النطق الذي وصل إليه. ينظر: أصوات اللغة العربية للدكتور عبدالغفار هلال ١٥٦، وفسّر أحد الباحثين

إطباق الطاء، يقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا"(١)، فإذا زال هذا الإطباق أصبحت الطاء دالًا(٢)، وفي الحقيقة هذا مخالف لما ننطق به في الوقت الحاضر؛ إذ إن الطاء الحالية إذا زال إطباقها أصبحت تاء، فالطاء الحالية هي النظير المطبق للتاء لا الدال، أما النظير المفخم للدال فهو الضاد الحديثة، فإذا فخِّمت الدال صارت ضادًا وليس طاء (٣)، فالطاء التي نطق بها العرب كانت قريبة الشبه من تلك الضاد الحديثة التي ينطق بها الآن(٤)، والطاء المهموسة عند المحدثين، هي الطاء التي كالتاء، والتي عدّها سيبويه من الأصوات غير المستحسنة ولا الكثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر.(٥)

والإبدال بين الطاء والدال قد شاع في اللهجات العربية القديمة، وهو كثير، فمن الممكن أن تحلّ الطاء مكان الدال والعكس(٦)، ومن ذلك قول أعرابي لرجل: ما أبعط طارك يريد ما أبعد دارك (٧)، كما أشار إلى الإبدال بين الطاء والدال كل من: ابن السكيت، والزجاجي، وأبي الطيب اللغوي(٨)، ومنه الطّرطبيسُ والدَّرْدَبِيسُ العجوز المُسْتَرْخية(٩)، والذي يبدو لي في أغلب الأمثلة التي حدث الإبدال فيها بين الطاء والدال للاتفاق في المخرج، أن الطاء أصل

ذلك بأن الاختلاف في الطاء بين القدامى والمحدثين ناتج عن اختلافهم في معرفة مصطلحي الجهر والهمس؛ حيث اعتمد المحدثون في معرفة المجهور والمهموس على ذبذبة الوترين الصوتيين أو عدم ذبذبتهما، بينما اعتمد القدامى على قوة الصوت بمعناه اللغوي، وعلى ضغط الهواء الآتي من الرئتين على نقطة تلاقي أو تقارب العضوين المُكَوّنين للصوت، وعلى امتلاء مجرى الهواء بالصوت وعدمه. وكلاهما مصيب غير مخطئ. ينظر: إبدال الحروف في اللهجات ٣٨٩

(١) ينظر: الكتاب ٤٣٦/٤

(٢) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات) ١٣٠

(٣) ينظر: الأصوات المتحولة وأثرها في المعنى ٥٣، أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال ١٥٦- ١٥٧

(٤) ينظر: أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال ١٥٦

(٥) ينظر: الكتاب ٤٣٢/٣

(٦) ينظر: التغير التاريخي للأصوات٧٦

(٧) غريب الحديث للخطابي٩٩/٢ ، ٦١٨/٣، المقاييس ٢٧١/١

(٨) الإبدال لابن السكيت١١٩، الإبدال والمعاقبة والنظائر ٤٣، الإبدال لأبي الطيب٣٧٤/١

(٩) ينظر: العين ٣٤٥/٧

أبدل منه الدال؛ رغبة في التخلّص من الصوت المطبق المفخم وهو الطاء، إلا ما ورد من ميل بعض القبائل إلى الأصوات المطبقة المفخّمة، وهي القبائل البدوية التي ترغب في الأصوات الواضحة في السمع، ويرى أحد الباحثين المُحْدَثين أن تحوّل الأصوات الأسنانية اللثوية كتحول التاء إلى دال أو طاء، وتحوّل الدال إلى طاء يحكمه قانون جعله مطردًا لهذه الأصوات، وهو الاتجاه من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق(١)، وما ذكره الباحث لا يمكن جعله قانونًا مطردًا، فاللهجات لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف، فما حدث في العاميّة المصرية من تحوّل الدال المجهورة إلى الطاء المهموسة عند المحدثين، هو التخلّص من الصوت المجهور، وهو ما يتمشى مع قانون السهولة والتيسير الذي يستبدل الأصوات الصعبة في النطق كالمجهورة بأصوات أيسر وأسهل كالمهموسة، وقديمًا ذكر سيبويه أن النطق بالصوت المهموس أخف من النطق بالمجهور(٢)، فالدال صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور، والطاء صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس عند المحدثين، مجهور عند القدامى، ومطبق ومفخم(٣)، ويبقى أن أقول: إن العاميّة تخلصت من الجهر في نحو هذا بهمس الطاء سيرًا على نهج المُحْدَثين فيها، ولكن بقي الإطباق في الطاء، ولعله أثر من آثار البادية في العاميّة؛ حيث يميلون إلى الأصوات الأوضح في السمع، وهي الأصوات المطبقة والمفخمة.

تحوّل التاء إلى الدال:

تحوّلت التاء إلى الدال في العاميّة المصرية، فمن ذلك مما جاء في العامي الفصيح: التَّكَّة رباط السراويل، والعامة تبدل التاء دالًا(٤)، وقد سبق الكلام عن مخرجهما عند القدامى والمحدثين، فالتاء صوت اسناني لثوي انفجاري مهموس، والدال صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور، وصوت الدال

(١) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٤١٥، ٤٢١
(٢) ينظر: الكتاب ٤/٤٥٠، التغير التاريخي للأصوات٧٥
(٣) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات)١٢٩ وما بعدها
(٤) ينظر: العامي الفصيح ١٠

هو النظير المجهور للتاء، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق[١]، والإبدال بين الدال والتاء وردت له أمثل عديدة في اللهجات العربية القديمة؛ نظرًا للاتحاد في المخرج، والتقارب في أكثر الصفات، ومنه تفتر ودفتر[٢]، وعزيت تفتر إلى بني أسد[٣]، وقَيْسٍ [٤]، وقد أورد أبو الطيب أمثلة عديدة لهذا النوع من الإبدال [٥]، وكلمة التكة مختلف في عربيّتها، فقد ذكر ابن دريد أنه قال: لَا أحسبها عَرَبِيَّة مَحْضَة، وَلَا أحسبها إِلَّا دخيلًا، وَإِن كَانُوا قد تكلمُوا بهَا قَدِيمًا[٦]، وفي تحوّل التاء المهموسة إلى الدال المجهورة في العاميّة في التكّة والدِّكة، اتفاق مع ما ادّعاه أحد الباحثين أن الأصوات الأسنانية اللثوية تتحوّل من الهمس إلى الجهر[٧]، واحتمال آخر وهو أن اختيار العاميّة لصوت الدال المجهور في الكلمة أثر من آثار البيئة البدوية التي تميل إلى الأصوات المجهورة.[٨]

تحوّل الطاء إلى التاء:

تحوّلت الطاء إلى التاء في العاميّة المصرية، ومنه في العامي الفصيح: الحانوني عند عامة مصر مجهّز الموتى، وأصلها حنوطي نسبة إلى الحنوط[٩]، ومنه: الطحلب معروف، ولكنهم يجعلون الطاء تاء أو دالا[١٠]، وتحوّلت الطاء إلى التاء في العاميّة؛ لأنهما تشتركان في صفة الهمس، والطاء مستعلية مطبقة مفخمة، ولا شك أنها صفات تضفي على الصوت شيئا من الصعوبة، ولا غرو إذن أن يتدخل قانون السهولة والتيسير، ويفعل

(١) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات) ١٢٩
(٢) ينظر: المصباح(د ف ت ر)١٩٦/١، تاج العروس(ت ف ت ر) ٢٨٩/١٠، (د ف ت ر) ٣٠٤/١١ وما بعدها
(٣) الكنز اللغوي٥٣، الإبدال لأبي الطيب١٠٩/١، تاج العروس(ت ف ت ر)٢٨٩/١٠
(٤) تاج العروس(ت ف ت ر)٢٨٩/١٠
(٥) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٩٩/١ ـ١٠٩
(٦) ينظر: الجمهرة (ت ك ك) ١/ ٧٩، اللسان (ت ك ك)١٠/ ٤٠٦
(٧) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٣٩٩
(٨) ينظر: في اللهجات العربية ١٠٦ وما بعدها
(٩) ينظر: العامي الفصيح ٢٩
(١٠) ينظر: السابق ١٠٣

فعله في تخليص هذا الصوت من مصدر الصعوبة [١]، والتخلّص من مثل هذه هذه الأصوات قديم في اللهجات العربية، يدل على ذلك ما ورد من أمثلة جاءت بالطاء تارة، وبالتاء أخرى، ومنها ما جاء في الحديث «جَلس رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى غُصْن شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَقَالَ بِيَدِه فَحَطَّ ورَقَها» أَيْ نثَرَه [٢]، قال ابن منظور: مَعْنَاهُ فحَتَّ ورَقها أَي نَثَره[٣]، ومنه مما ذكره أبو الطيب عن الأصمعي: الإقتار والأقطار النواحي من كل شيء، ومنه يتمتى ويتمطى، وهتلت السماء وهطلت[٤]، وهذه الأمثلة وغيرها تبين أن ميل اللغة إلى التخلص من صفة التفخيم وأمثاله من الصفات التي تتسم بالصعوبة أمر مسوغ ويمكن التنبؤ به، وهو أمر لا يخص العربية وحدها، وإنما جاء في السريانية والعبرية[٥]، ويرى الدكتور أحمد بك عيسى أن كلمة حانوتي منسوبة إلى حانوت خطأ، وإنما تنسب إلى الحَنوط، وهو طِيب يخلط للميت خاصة، والحنوطي نسبة إليه[٦]، وهو رأي مقبول ربما يصحح خطأ صرفيًّا في في النسب، ولكن يبقى لماذا تحوّلت الطاء إلى التاء؟ لذا فإني أرجح التفسير القائل أن ذلك كان من أجل التخلص من صوت الطاء المستعلي المطبق المفخم، بخلاف التاء المستفلة المنفتحة المرققة.

تحوّل الأصوات اللثوية أو الأسنانية:

الأصوات الأسنانية أو أصوات ما بين الأسنان هي الأصوات اللثوية عند القدامى؛ لأنّ مَبْدَأها من اللِّثة[٧]، وهي تصدق على الثاء والذال والظاء، وهي تخرج عند القدامى مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[٨]، وتسمى الأصوات الأسنانية عند المحدثين[٩]، وهذه الأصوات صعبة النطق وعسيرة في

(١) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ٧٧
(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٤٠٢/١
(٣) ينظر: اللسان (ح ط ط) ٢٧٥/٧
(٤) ينظر: الإبدال لأبي الطيب١/ ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣
(٥) ينظر: التغير التاريخي للاصوات٧٩
(٦) ينظر: المحكم في أصول الكلمات العامية ٦٠
(٧) العين ٥٨/١
(٨) الكتاب ٤٣٣/٤
(٩) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢

في إخراجها؛ حيث إنها تتطلب أن يخرج اللسان مما بين الأسنان حال النطق بها؛ ولصعوبتها تحوّلت في العاميّة إلى أصوات أخرى أقل صعوبة في النطق، فالعوام ينطقون هذه الأصوات الثلاثة في الغالب دون إخراج لطرف اللسان، ووضعه بين الأسنان حال النطق بها، ويبدو أن التطور في الأصوات الأسنانية هو نهج أخوات العربية من الساميات، يقول أحد الباحثين: يميل تطور هذه الأصوات في اللغات السامية إلى أن تتحوّل إلى نظيرها اللثوي الصفيري، أو إلى نظيرها اللثوي الانفجاري[1]، وفيما يلي بيان لتحوّل كل صوت من الأصوات الأسنانية على حدة، كما جاء في العامي الفصيح:

تحوّل الثاء:

١- إلى التاء:

تحوّلت الثاء في العاميّة المصرية كثيرًا إلى التاء، وذلك في أمثلة عديدة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر مما ورد في العامي الفصيح، قول العامة في الأثر: الأتر، وفي بعث: بعت، وفي بعثر: بعتر، وفي الثأر: التار مع تسهيل الهمز منها، وثخانة وثخين: تخانة وتخين، وفي أثرم: أترم، وفي الثعبان: التعبان، وغير ذلك كثير مما ورد في العامي الفصيح، موزعًا على أبواب المعجم، وهنا أحيل إلى بعض أرقام الصفحات في المعجم.[2]

وفي النطق بالثاء يوضع طرف اللسان حال النطق به بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق، فيحدث الاحتكاك، مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، ومع عدم تذبذب الأوتار الصوتية، فالثاء إذن صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس، أما التاء المحوّل إليها، فيقف الهواء وقوفًا تامًا حال النطق بها عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الأسنان العليا ومقدم اللثة، فيَحدث صوت انفجاري، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، فالتاء إذن صوت أسناني لثوي

(١) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن ١٧٠

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١، ٦، ١٢، ٢٢، ٤٠، ٨٦، ١١٥، ١٤٤، ١٧٠، ١٩٠، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٢٣

انفجاري مهموس[١]، فيجمع بينهما قرب المخرج، والاشتراك في الهمس والانفتاح؛ فمخرج التاء يلي مخرج الثاء، فكل منهما يشترك في الأسنان، ولكن الثاء أسنانية بحتة، والتاء أسنانية لثوية[٢]، وصوت التاء هو النظير الشديد لصوت الثاء الرخو[٣]، وقد حدث مثل هذا التعاقب بين الثاء العربية والتاء في اللهجات الآرامية[٤]، والإبدال بين الثاء التاء في اللهجات العربية القديمة كثير، ووردت له أمثلة عديدة، فمنه الواتن والواثن بمعنى المقيم، والختلة والخثلة: أسفل البطن[٥]، وعُدّ إبدال التاء من الثاء من اللحن في بعض اللهجات العاميّة القديمة في نحو قولهم: تار في ثأر[٦]، ووجّه الباحثون المُحْدثون ذلك بأن القبائل البدوية، تميل إلى الأصوات الشديدة ومنها التاء، وهو ما يتلاءم مع طبيعتهم، وما عرف عنهم من غلظ وجفاء، كما أن الأصوات الشديدة فيها عنصر الانفجار الذي ينسجم مع ما عرف عن الأعراب من سرعة في الأداء [٧]، كما لاحظوا أن التغيير يميل بصفة عامة من الانتقال ببعض الاصوات الرخوة القليلة الشيوع في الفصحى إلى أصوات الشدة.[٨]

وفسروا تحوّل الثاء إلى التاء في اللهجات الحديثة وفق نظرية السهولة والتيسير، فالدكتور وافي قد عزا تحوّل الثاء في معظم اللهجات العاميّة في معظم المناطق إلى صعوبة النطق به، وثقله على أعضاء النطق، إذ أصبح لفظه على الوجه الصحيح، يتطلب تلقينًا خاصًا، ومجهودًا إراديًّا، وقيادة مقصودة لحركات المخارج[٩]، وفي تحول الثاء إلى التاء تحوّل من صوت

(١) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات)١٢٩، ١٥٢
(٢) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات العربية٤٤٤
(٣) ينظر: الأصوات العربية المتحولة وأثرها في المعنى ١٠٨
(٤) ينظر: اللهجات العربية في التراث٤٣٤
(٥) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٩٦/١
(٦) ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان٢٥٣
(٧) ينظر: في اللهجات العربية ١٠٠
(٨) ينظر: السابق ٢٢٧
(٩) ينظر: علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي٢٧١ وما بعدها، الأصوات العربية المتحولة وأثرها في المعنى١٠٩

أسناني إلى صوت لثوي أسناني، وفي هذا تأخر لصوت الثاء عن مخرجه إلى الوراء، وهو جزء من قاعدة التبادل بين الأصوات الأسنانية، والأسنانية اللثوية.(١)

واللهجات العربية الحديثة منها ما حافظ على صوت الثاء، كما في مناطق شبه الجزيرة العربية ودول الخليج، وبعض مناطق البدو في مصر، وليبيا والعراق وشرق سوريا والأردن؛ حيث يعدون الانحراف أو التحوّل في الثاء بنطقه تاء أو غيرها عيبًا في النطق، ومن اللهجات ما غيّرت في نطق الثاء إلى تاء أو سين، كما هو الحال في اللهجات الحديثة في مصر، وسوريا وفلسطين ولبنان والجزائر والمغرب.(٢)

٢- إلى السين

وكذلك تحوّلت الثاء في العاميّة إلى السين، ولكنها في أمثلة أقل من تحوّلها إلى التاء، فمن ذلك مما جاء في العامي الفصيح، نطقهم لكلمات (أثر) وما تفرع عنها، و(آثم) وما تفرع عنها، و(الإرث) وما تفرع منه، و(الأنثى)، و(البحث) وما تفرع منه، و(ثبت) وما تفرع منه، و(ثبّط) وما تفرع منه، و(الثدي)، و(الثريد)، وغير ذلك، فالعامّة ينطقون كل ذلك بالسين بدل الثاء، وهنا أحيل إلى بعض أرقام الصفحات في المعجم.(٣)

والإبدال بين الثاء والسين ورد في اللهجات العربية القديمة في أمثلة عديدة، منها ملث الظلام وملسه اختلاطه، وثاخت رجله وساخت، والحثالة والحسالة(٤)، وصوت الثاء سبق وصفه والحديث عن صفاته، أما السين المحوّل إليها فهي تنطق بأن يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا، مع التقاء مقدمه باللثة العليا، مع وجود منفذ ضيق للهواء فيسمح بالاحتكاك، ويرفع أقصى الحنك؛ حتى يمنع مرور الهواء من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار

(١) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات ٤٤٥
(٢) ينظر: السابق٤٥٥ وما بعدها
(٣) ينظر: العامي الفصيح ١، ٢، ٣، ٦، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢١، ٣٢، ٤٠، ٤٣، ٥٢، ٥٢، ٥٨، ٨٥، ١٠٣، ١١٤، ٢٠٢، ٢١٣
(٤) ينظر: الإبدال لابي الطيب اللغوي١٦٨/١، ١٧٠، ١٧٤

الصوتية حال النطق به، فالسين صوت لثوي احتكاكي مهموس[١]، وبناء على ما تقدم من وصف للثاء والسين، فهما متقاربان في المخرج، فالثاء صوت سني، والسين لثوي[٢]، كما يجمعهما بالإضافة للقرب في المخرج صفات الرخاوة والانفتاح، وفي تحوّل الثاء إلى السين تحوّل إلى صوت رخو يشابهها، غير أن مخرجها تأخر إلى مخرج السين[٣]، والذي يبدو لي إضافة إلى سبق في تحوّل الثاء إلى السين أنه أثر من آثار الساميات أخوات العربية، فالثاء أصل في الآرامية تحوّل إلى سين فيها، فكلمة (ليس) أصلها في الآرامية (ليث).[٤]

ويتبين لي مما تقدم أن تحوّل الثاء إلى التاء أو السين في اللهجات العربية، وكذا في اللهجات الحديثة نتيجة أمر من اثنين، أولهما: أن هذه اللهجات قديمها وحديثها تأثرت بالساميات على نحو ما سبق، فالثاء في العربية يقابلها الشين في الآشورية والعبرية، وتاء في الآرامية، وسين في الحبشية، وبعض اللهجات اليمنية القديمة، وثانيهما: أن اللغة العربية قد أصابها التطوّر بعد خروجها من الجزيرة العربية، ومن هذا التطور تحوّل صوت الثاء إلى سين أو تاء، وكلا الأمرين السابقين ربما يشتركان في تحوّل الثاء إلى تاء أو سين، غير أن الشيء الملاحظ هو تحوّل الثاء من صوت أسناني، إلى صوت أسناني لثوي، أي أنها قد تأخر مخرجها مع المحافظة على الرخاوة كما في السين، أو تأخر مخرجها مع التحوّل من الرخاوة إلى الشدة كما في التاء.[٥]

تحوّل الذال:

١- إلى الدال:

تحوّلت الذال في العاميّة المصرية كثيرًا إلى الدال؛ حتى وصف ذلك

(١) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٥٣
(٢) ينظر: الأصوات العربية المتحولة واثرها في المعنى ١٠٩
(٣) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٤٤٦ وما بعدها
(٤) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن١٦٩
(٥) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٤٤٩، ٤٥٦

الدكتور شوقي ضيف بأنه يكثُر كثرة مفرطة[١]، ومن ذلك مما ورد في العامي الفصيح نطق العامّة لكلمات أخذ، وأذّن، وبذرة، والمجذوب، والجذام، والذئب، والذباب، وغير ذلك كثير في المعجم، فالعامّة تنطق الذال في كل ما مضى دالًا، وهنا أحيل إلى أرقام الصفحات في المعجم.[٢]

والإبدال بين الذال والدال وردت له أمثلة عديدة في اللهجات العربية القديمة، فمن ذلك ما ذاق عدوفا وعذوفا أي ما ذاق شيئا، وقد عزي عذوفا بالذال إلى ربيعة، وسائر العرب بالدال[٣]، ومنه: وذبرت الكتاب ودبرته أي كتبته، وعن أبي عمرو الذألان والدألان واحد، وهو قطاف السير، والقُنفذ والقُنفد: اسم دابة، واقدحرّ الرجل واقذحرّ: إذا تأهب للقتال[٤]، والدال في بعض الأمثلة السابقة أسدية، ويقصد بها أسد النجدية البدوية وقد أنشد أبو عمرو فيما رواه أبو الطيب لأبي الميدان الفقعسي:

يا ناقتا مالك تذْألينا

وفقعس أبو حي من أسد، فاللهجة فقعسية أسدية[٥]، والميل إلى النطق النطق بالدال عندهم؛ لأنه شديد مجهور، والذال رخو مجهور، والشدة والجهر من خصائص البدو.[٦]

كما وردت أمثلة للإبدال بين الذال والدال في اللهجات العاميّة قديمًا، ولكنه عُدّ لحنا، فمن ذلك جدام والصواب جذام، ودخيرة والصواب ذخيرة، والدلفاء والصواب الذلفاء بالذال.[٧]

والعلاقة بين الدال والذال قريبة، فهما يشتركان في طرف اللسان، فمِمَّا بينه وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء، ومما بين طرف اللسان

(١) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ١٥١، ١٥٢
(٢) ينظر: العامي الفصيح٢، ٤، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ١١٨، ١٤٩، ٢٠٤، ٢٢٦
(٣) ينظر: اللسان (ع د ف) ٢٣٥/٩
(٤) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٣٥٣/١- ٣٥٨
(٥) ينظر: الإبدال لأبي الطيب اللغوي٣٥٦/١
(٦) ينظر: الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه٢٣٨
(٧) ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان٢٥٧ وما بعدها

وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء[١]، والذال أسنانية، أو مما بين الأسنان، والدال أسنانية لثوية[٢]، وتشترك الدال والذال في صفات الجهر والانفتاح والاستفال والترقيق والإصمات، والدال شديدة والذال رخوة، فالدال هي النظير الشديد للذال الرخوة.[٣]

والعربية قد اتجهت إلى التخلّص من صوت الذال في بعض اللهجات، عن طريق تغيير مخرجه من المخرج بين الأسناني، إلى المخرج اللثوي الأسناني، ولذا فقد تغيّرت هيئته من الاحتكاك إلى الانفجار، فصار دالا.[٤]

والذال من الأصوات عسيرة النطق كما سبق، وفي نطقها جهد عضلي تحاول لغة الكلام التخلص منه؛ حيث تتطلب مع أخواتها الأسنانيات إخراج طرف اللسان عند نطقها ووضعه بين الأسنان؛ لذا تم التخلّص من الذال في العاميّة بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان.[٥]

وصوت الذال لم يحافظ عليه إلا عدد قليل من اللغات السامية، كالعربية والعربية الجنوبية، وبعض اللهجات الشمالية البائدة بصورة بارزة، وهذا التغير الذي طرأ على صوت الذال في اللغات السامية اتخذ سمت الإطلاق، فقد تغيّر في الآرامية والسريانية والتدمرية وغيرهم إلى دال مطلقا.[٦]

ويتبين مما سبق أن حال الذال مع الدال كحال الثاء مع التاء؛ حيث تحوّل الصوت الأسناني المهموس الرخو، إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الشديد، وهو ما حدث في تحوّل الثاء إلى التاء، وأما في الدال والذال فتحوّل الصوت الأسناني المجهور إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الشديد، وبذلك تأخر مخرج الذال إلى الوراء كما تأخر مخرج الثاء إلى الوراء، وتحوّل صوت الذال إلى الشدة، كما تحوّل صوت الثاء إلى الشدة، وهذا ينطبق على الأصوات الأسنانية؛ حيث يتأخر مخرجها إلى اللثة،

(١) ينظر: ينظر: الكتاب٤/٤٣٣
(٢) علم الأصوات د. بشر١٨٣
(٣) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١١٤، التغير التاريخي للأصوات ١٠٨، ١٠٩
(٤) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ١١٦
(٥) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه٨٣
(٦) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ١٠٩، ١١٢

فتكون أصوات أسنانية لثوية.[١]

٢- إلى الزاي

وكذلك تحوّل صوت الذال إلى صوت الزاي في العاميّة، ولكنه بصورة أقل من تحوّلها إلى الدال، فإذا وُصف تحوّل الذال إلى الدال بالكثرة المفرطة، فانحراف الذال إلى الزاي وصف بأنه كثير.[٢]

ومن ذلك مما ورد في العامي الفصيح كلمات، مأخذ ومؤاخذة ومآخذ، والإذن، والأذى ومشتقاتها، والأستاذ، والبذيء، وبذخ، والمجذوب، وحذّ، والجذر ومشتقاته، وخذل وما تفرع منه، وأذعن، وذكر، وذل، وذنب وغير ذلك كثير، تُحوّل العامّة فيه الذال إلى زاي. [٣]

والإبدال بين الذال والزاي حاصل في اللهجات العربية القديمة، ووردت له أمثلة عديدة منها، زبرت الكتاب وذبرته: إذا كتبته عن أبي عبيدة، والبُذور والبُزور: حبة الصحراء، وذلج الماء وزلجه: إذا جرعه، وماء زعاق وذعاق إذا كان مرًّا.[٤]

ومخرج الذال مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[٥]، فالذال صوت مما مما بين الأسنان احتكاكي مجهور[٦]، والزاي من الأصوات الأسلية والصفيرية[٧]، ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا [٨]، وهي صوت احتكاكي احتكاكي مجهور[٩]، والذال والزاي متقاربان مخرجًا، فالذال اسناني، والزاي أسناني لثوي، فهما يشتركان في بعض المخرج وهو الأسنان، وتنفرد الزاي باللثة.[١٠]

(١) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٤٦٦، الأصوات العربية بين التحول والإثبات٥٨
(٢) ينظر: تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ١٥٢
(٣) ينظر: العامي الفصيح٢، ٤، ١٠، ١٤، ٢١، ٣٤، ٥٣،٥٤، ٥٥، ٨٧،١٩١، ٦٠، ٢١٤،٢٢٢
(٤) ينظر: الإبدال لابي الطيب ٦/٢، ٧، ٨، ١٠
(٥) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤، سر صناعة الإعراب ٦٠/١
(٦) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٥٢
(٧) العين ٥٨/١، الأصوات اللغوية ٦٦
(٨) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤، سر صناعة الإعراب ٦٠/١
(٩) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٢٩، ١٥٣
(١٠) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات ٤٦٧

وقد تحوّلت الذال إلى الزاي في العاميّة على النحو الذي سلف في الأمثلة المتقدمة، ومنه يتبين أن وضع اللسان قد انتقل من بين الأسنان، إلى ما وراء الأسنان، وذلك لتيسير النطق.(١)

وما حدث في اللهجات العربية القديمة والحديثة والعاميّات وقع في الساميات، فقد اندمج صوت الذال في نظيره الصفيري اللثوي الزاي في الأكادية والعبرية والأثيوبية، وكذلك في النقوش الآرامية، وتحوّل إلى نظيره الانفجاري اللثوي وهو الدال في السريانية والآرامية المتأخرة.(٢)

وحال الذال مع الزاي كحال الثاء مع السين؛ فالثاء وهو الصوت الأسناني المهموس الرخوي، قد تحوّل إلى الصوت الأسناني اللثوي المهموس الرخو وهو السين، والذال وهو الصوت الأسناني المجهور الرخو قد تحوّل إلى الصوت الأسناني اللثوي المجهور الرخو وهو الزاي، فالأصوات الأسنانية تتحوّل إلى أسنانية لثوية.(٣)

تحوّل الظاء:

اتخذت الظاء في تحوّلها في العاميّة المصرية في ما جاء في العامي الفصيح مسارين:

أولهما: صوت كالزاي المفخمة، وهو لم يشر إليه صاحب المعجم، وإنما يفهم من كلامه في قوله في أكثر من موضع أن العامّة لا يخرجون لسانهم في النطق بالظاء في مثل كلمة (محظور) بمعنى ممنوع، أو أنهم لا يعطون الظاء حقها عند النطق كلمات (الحظ والمحظوظ والمحظوظة)، وكقوله: إنه من النادر أن يخرج العامي لسانه عند النطق بكلمة من مادة (ظ ن) أو مادة (ع ظ م)(٤)، والنطق بالظاء كما لو كان زايًا مفخمة، يعني رجوع مخرج الظاء إلى الوراء قليلًا، وحوفظ فيه على الرخاوة فجاءت الظاء زايا مفخمة(٥)،

(١) ينظر: الأصوات العربية المتحولة وأثرها في المعنى ١١٥
(٢) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن ١٧٠
(٣) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات٤٦٧
(٤) ينظر: العامي الفصيح٢٥، ٢٦، ١١٣، ١٢٦

مفخمة[١]، وبقيت الخاصية المميزة للظاء الفصيحة وهي التفخيم[٢]، ومخرج الصوتين الظاء والزاي متتابعان في ترتيب المخارج عند الأقدمين، فمما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء[٣]، والظاء صوت مما بين الأسنان احتكاكي مجهور مفخم مطبق، والزاي صوت لثوي احتكاكي مجهور[٤]، وهو نطق خطأ للظاء، اعتادته العاميّة بمصر.

وكثير من العرب ينطقون هذا الصوت بصورة صحيحة، وهذا ملحوظ في نطق العراقيين والكويتيين بوجه خاص[٥]، يقول برجشتراسر عن الظاء: وهي الآن عند كثير من أهل المدن أحد حروف الصفير[٦]، ونطق الظاء زايًا مفخمة يعد انحرافًا صوتيًّا؛ لأنه يشوه الصورة الصوتية للكلمة، وإن لم يؤد إلى اختلاف المعنى؛ لعدم وجود فونيم مستقل لصوت الزاي المفخمة في اللغة العربية.[٧]

ثانيهما: تحوّلها إلى الضاد الحديثة، ومما ورد من ذلك في العامي الفصيح نطق العامّة لكلمات المحظيّة، وحافظ، و الحنظل، الظل والمظل، وليلة ظلمة، وظهارة الثوب، والعظم، ولمظ وتلمّظ، فالعامّة تنطق الظاء في الكلمات السابقة ضادًا[٨]، والمقصود بالضاد المتحوّل إليها هنا هي الضاد الحديثة، وقد نص على ذلك عدد من الباحثين المحدثين، حيث فُقدت الظاء من اللهجة العاميّة المصرية، وحلت محلها الضاد، مثل ظل تنطق ضل [٩]، و

(١) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات ٥٩- ٦٠
(٢) ينظر: علم الأصوات د. بشر ٥٩٠
(٣) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٤) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٥٣
(٥) ينظر: السابق الصفحة نفسها، الأصوات العربية المتحولة ١٢٤
(٦) ينظر: التطور النحوي ١٩، الأصوات العربية المتحولة ١٢٤
(٧) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١٢٥
(٨) ينظر: العامي الفصيح٢٥، ٢٦، ٢٩، ١١٢، ٢٠٩
(٩) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٦، أصوات العربية بين التحول والإثبات ٥٧

و لغة الكلام تخلّصت من الظاء بنقل مخرجه إلى ما وراء الأسنان[١]، فصوت فصوت الظاء، ينطق بنفس الطريقة التي تنطق بها الدال، مع فارق الإطباق، حيث ينحبس الهواء معها عند التقاء طرف اللسان بأصول الأسنان العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا، سمعنا صوتًا انفجاريًّا هو الضاد كما تنطق في مصر[٢]، وسبق أن الضاد الحديثة لا تفترق عن الدال في شيء سوى الإطباق الذي في الضاد. وما سبق وصفه عن صوت الضاد الحديثة يختلف عن الضاد الأصلية التي تحدث عن مخرجها سيبويه فقال: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد [٣]، وإن شئت تكلفتها تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر[٤]، والضاد الأصلية الأصلية التي وصفها القدماء رخوة أو قليلة الشدة عندهم، ولكنها عند المحدثين صوت شديد أو باصطلاحهم صوت انفجاري[٥]، والضاد عند القدماء القدماء كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي عن يسار الفم عند أكثر الرواة، وعن يمينه عن بعضهم، أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيبويه، ويظهر أن الضاد القديمة كانت عصيّة النطق على أهل الأقطار التي فتحها الإسلام، أو حتى على بعض القبائل في شبه الجزيرة العربية.[٦]

وهذه الصعوبة الكائنة في الضاد العربية القديمة جعلت بعض القبائل تتخلص منها بإبدالها بصوت آخر منذ زمن متقدم، فقد نقل عن ابن الجزري ما يفيد ذلك عن ابن جني وغيره من المتقدمين فقال: "واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في

(١) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١٢٤
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية ٥١، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٦
(٣) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ٦٠/١
(٥) ينظر: أصوات اللغة العربية للدكتور عبدالغفار هلال ١٤٤، وقارن بـ علم اللغة العام (الأصوات) ١٣٢- ١٣٨
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية ٥٢

النطق به، فمنهم من يجعله ظاء مطلقًا؛ لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق، وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى، وقد حكى ابن جني في كتاب التنبيه وغيره أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقًا في جميع كلامهم، وهذا غريب، وفيه توسع للعامّة، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها، بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لامًا مفخمة، وهم الزيالع ومن ضاهاهم، واعلم أن هذا الحرف خاصة، إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكُلفة ولا بتعليم".(١)

وما سبق من وصف للضاد القديمة جعل أحد الباحثين يقول: الضاد الجانبية الاحتكاكية التي وصفها سيبويه وابن جني قد آلت إلى الزوال لصعوبته(٢)؛ لذا تصرّفت فيها اللهجات العربية القديمة على نحو ما سبق عند ابن الجزري، ويظهر مما سبق أن العاميّة حينما انحرفت بالظاء إلى الضاد، فإن المراد هو الضاد الحديثة التي تشبه الدال؛ لأن الضاد القديمة أصعب من الظاء، فكيف تنحرف الظاء إليها في العامية وهي تنشد الخفة والسهولة؟

وقد جاء في العامي الفصيح تحوّل الضاد إلى الظاء، ومنه: الضابط لقب في الجيش والشرطة، ومن العوام من يجعل الضاد ظاء.(٣)

والضاد انْفَرَدَ بِالِاسْتِطَالَةِ، وَلَيْسَ فِي الْحُرُوفِ مَا يَعْسُرُ عَلَى اللِّسَانِ مِثْلُهُ، فَإِنَّ أَلْسِنَةَ النَّاسِ فِيهِ مُخْتَلِفَةٌ، وَقَلَّ مَنْ يُحْسِنُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُهُ ظَاءً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْزُجُهُ بِالذَّالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ لَامًا مُفَخَّمَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشِمُّهُ الزَّايَ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ (٤)، والضاد والظاء متقاربان في المخرج،

(١) ينظر: التمهيد في علم التجويد ١٣٠ وما بعدها، وقارن بـ النشر في القراءات العشر ٢١٩/١ وما بعدها
(٢) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١٦٣
(٣) ينظر: العامي الفصيح ١٠٠
(٤) النشر ٢١٩/١

فالأول سني لثوي، والثاني سني خالص.[١]

المماثلة الصوتية:

إذا كان النطق بالصوتين المتجاورين أمرًا صعبًا يستلزم جهدًا كبيرًا، فإن صاحب اللغة يلجأ إلى الطريق المؤدية إلى السهولة، بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتيًّا، ويسمى ذلك بالمماثلة [٢]**، ومن ذلك في العامي الفصيح ما يلي:**

١- تحوّل الحاء إلى العين تأثرًا بالدال قبلها:

تحوّلت الحاء في العاميّة المصرية كما جاء في العامي الفصيح إلى العين، وذلك في قوله: دحمس الليل أظلم، وبعضهم يجعل الحاء عينًا، فيقول: دعمس، والحاء والعين حرفان من حروف الحلق وهما من مخرج واحد.[٣]

والذي يبدو لي أن تحوّل الحاء في العاميّة إلى العين، إنما هو لتأثرها بالدال المجهورة قبلها تأثرًا تقدميًّا، فالحاء مهموسة جُهرت فأصبحت عينًا، ودحمس فصيحة، أما دعمس فلم أجدها في الكلام الفصيح، وذكر ابن فارس نقلا عن الفراء أن عمس الخبر بمعنى أَظْلَمَ، وَأَعْمَسَ الطَّرِيقُ الْتَبَسَ، وَعَمِسَ الْكِتَابُ: دَرَسَ [٤]**، فلعل دعمس العاميّة تَمُتّ إلى الأصل السابق بصلة؛ لاقتراب معناهما.**

ولا مانع من القول بتحوّل الحاء إلى العين في العاميّة تأثرًا بالبيئات البدوية التي تميل إلى جهر الأصوات، وبخاصة أن العلاقة الصوتية بين الحاء والعين مسوغة لذلك.[٥]

---

(١) ينظر: الأصوات العربية المتحولة ١٢١
(٢) ينظر: أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ١٧٥
(٣) ينظر: العامي الفصيح ٤٣
(٤) مقاييس اللغة(ع م س) ٤ /١٤٣
(٥) ينظر: في اللهجات العربية ١٠٦ وما بعدها

والإبدال بين الحاء والعين كثير في اللهجات العربية القديمة، وفيه تميل هذه القبائل وبخاصة الحضرية منها إلى إبدال العين المجهورة إلى الحاء المهموسة؛ للتخلص من الصوت المجهور لثقله، يقول سيبويه: "والمهموس أخف من المجهور"(١)، ومنه ما ذكره ابن جني في قوله: العرب تُبْدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُحْثِر ما في القبور؛ أي: بعثر، وضبعت الخيل؛ أي: ضبحت، وهو يُحنْظِي ويُعَنْظِي إذا جاء بالكلام الفاحش(٢)، وقد تأثرت بعض اللهجات الحديثة بالقديمة في إبدال الحاء من العين، ومن ذلك ما ذكره بعضهم من قولهم: حشرين في عشرين، ويحتاد في يعتاد(٣)، والحاء والعين من وسط الحلق عند القدامى، وحلقيان عند المحدثين، والحاء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، ولا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين(٤)، يقول الخليل: ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العْيَن لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن(٥)، فالحاء صوت حلقي احتكاكي مهموس، والعين صوت حلقي احتكاكي مجهور.(٦)

وللتقارب الشديد بين صفات الحاء والعين، واحتفاظ اللغات السامية بها ضمن مكوّناتها الصوتية، حدث مثل هذا الإبدال في بعضها كالعبرية والسريانية.(٧)

وقد عزا الزمخشري نقلًا عن الفراء (حتى) بالحاء إلى قريش، وجميع العرب إلا هذيلًا وثقيفًا فإنها عندهم بالعين(٨)، وعليها قراءة ابن مسعود وهو

(١) الكتاب ٤٥٠/٤
(٢) ينظر: المحتسب ٣٤٣/١، وينظر في أمثلة عديدة للإبدال بين الحاء والعين. الإبدال لابي الطيب ٢٩٢/١- ٣٠٠
(٣) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات ٢٠٠
(٤) الأصوات اللغوية٧٦
(٥) العين٥٧/١
(٦) علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات١٥٥
(٧) التغير التاريخي للأصوات٣١
(٨) الفائق في غريب الحديث ٣٩١/٢

هذلي(عتى حين) في قوله تعالى﴿ٱلَّذِى لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ يَٰٓأَيُّهَا [١]، وعزا الفراء إبدال العين إلى الحاء في بعثر وبحثر إلى بعض أعراب من بني أسد.[٢]

ب - تحوّل الخاء إلى الغين تأثرًا بالراء بعدها:

تحوّلت الخاء في العاميّة المصرية إلى الغين، ومن ذلك مما ورد في العامي الفصيح: الخفير والمخفور، بقلب الخاء غينا، والخفير الحارس، والجمع خفراء، والعوام يجمعونها غَفَر وغُفَرة.[٣]

والعلاقة الصوتية بين الغين والخاء مسوغة لإبدال الخاء من الغين والعكس، فهما من أدنى الحلق عند القدامى[٤]، وعند المحدثين من أقصى الحنك[٥]، والغين صوت احتكاكي مجهور، والخاء احتكاكي مهموس[٦]، وتشترك الخاء مع الغين في كل شيء، غير أن الغين صوت مجهور، نظيره المهموس هو الخاء.[٧]

والإبدال بين الخاء والغين قليل إذا قيس بغيرهما من الأصوات الحلقية، يقول المرادي: الخاء أبدلت من حرف واحد، وهو الغين في قولهم: "الأخنّ" يريدون الأغنّ، فقد وقع التكافؤ بينهما، وذلك في غاية القلة[٨]، وعدّه الشيخ الشيخ خالد الأزهري إبدالًا نادرًا.[٩]

وما تقدم يعني أنه إذا أبدلت الغين إلى الخاء، فهذا يعني تحوّل الصوت المجهور إلى المهموس بفعل قانون السهولة واليسر، وصوت الخاء أقل صعوبة من صوت الغين[١٠].

والذي حدث في العاميّة المصرية في المثال السابق، هو عكس ما

(١) ينظر: المحتسب ٣٤٣/١، والآية في سورة يوسف من الآية٣٥
(٢) معاني القرآن للفراء٢٨٦/٣
(٣) ينظر: العامي الفصيح ٣٨
(٤) الكتاب٤٣٣/٤
(٥) علم الأصوات د. بشر١٨٤
(٦) علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات١٥٥
(٧) الأصوات اللغوية٧٥، علم اللغة العام (الأصوات)١٥٥
(٨) ينظر: توضيح المقاصد١٦٢٥/٣، شرح الأشموني١٤١/٤
(٩) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح٦٨٩/٢، شذا العرف١٢٢
(١٠) ينظر: التغير التاريخي للأصوات ٤٦

سبق؛ حيث تحوّلت الخاء في الخفير إلى الغين في الغفير، والذي يبدو لي أنه يمكن أن يفسر ذلك بأحد أمرين:

أولهما: إن إبدال الخاء المهموسة إلى الغين المجهورة، لا يتمشى مع قانون اليسر والسهولة، الذي تنشده العاميّات في كثير من ظواهرها؛ لأن المهموس أخف من المجهور، ولكن القبائل البدوية بصفة عامة، تميل إلى الاصوات المجهورة، التي تتناسب مع غلظها وجفائها وطبيعتها الخشنة، كما أن الأصوات المجهورة أوضح في السمع من نظائرها المهموسة التي ترغب فيها القبائل الحضرية، المتمدنة [١]، فلعل ما حدث في العاميّة المصرية هو أثر من آثار الصفات اللهجية البدوية.

ثانيهما: أن للسياق الصوتي أثر في إبدال الخاء المهموسة إلى الغين المجهورة، وهو تأثر الخاء المهموسة بالراء المجهورة في كلمة الخفير، فأبدلت غينا مجهورة على سبيل التأثر الرجعي، وهذا ما أرجحه، يقول أحد الباحثين: وإن كان تحوّل الخاء إلى الغين أمرًا واردًا، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار مسألة السياق الصوتي، الذي ربما كانت مسؤولة إلى حد ما عن بعض أشكال هذا التحوّل، وقد ضرب على ذلك أمثلة مما ورد في لسان العرب نحو: المُطَرْخَم والمُطَرْغَم: المتكبر، واطرَخَمّ واطْرَغَمّ: تَكَبّر[٢]، والغَيْطَلُ: السِّنَّوْرُ كالخَيْطَل[٣] ، فمن الممكن أن تكون الخاء هي الأصل، وأنها اكتسبت صفة الجهر من الطاء على رأي القدماء، فتغيرت إلى الغين، ثم حُمل هذا التغير على الفرع التاريخي بفعل نشوء كلمات جديدة بالغين، وتغيّر صفة الطاء تاريخيا إلى الهمس.[٤]

وقد جاء الإبدال بين الخاء والغين في اللهجات القديمة، فمنه ما رواه صاحب اللسان عن أبي عبيدة أن الصّمْخ والصّمْغ، واحدته صَمْخةٌ وصَمْغة، يقال: للشاة إِذا حُلبت عِنْدَ وِلَادِهَا، فوُجِدَ فِي أَحالِيلِ ضَرْعِها شَيْءٌ يَابِسٌ،

(١) ينظر: في اللهجات العربية ١٠٦ وما بعدها
(٢) ينظر: اللسان(ط ر خ م) ٣٦١/١٢، (ط ر غ م) ٣٦٢/١٢
(٣) ينظر: اللسان(غ ط ل) ١١/ ٤٩٧
(٤) ينظر: الأصوات العربية المتحولة٤٦، وما بعدها

يُسَمَّى الصَّمْخَ والصَّمْغَ[١]، ومنه أيضًا البُرْزوخ والبُرْزوغ الشاب الممتلئ، وعيش رافخ ورافغ، أي واسع رغد [٢]، وتأثرت بعض اللهجات الحديثة بالقديمة في إبدال الغين خاء، ففي لهجة اليمن يقولون في يغتسل ويغتصب: يختسل ويختصب، ويقولون: أخصان في أخصان.[٣]

وهذا النوع من الإبدال بين الخاء والعين، لا يمكن توقّع وجوده في اللغات السامية؛ وذلك لأن أغلب هذه اللغات، كان قد فَقد هذين الصوتين من نظامه الصوتي منذ زمن مبكر، ولذا فلم يحتفظ بأمثلة عليه، ولا سيما أن أنظمة الكتابة السامية المختلفة، وُضعت بعد ضياع مثل هذه الأصوات من هذه اللغات، مما يعني عدم وجود صورة لأي من هذين الحرفين في بعض اللغات، وإن كانت الأكادية احتفظت بالخاء التي تغيرت إليها بعض أنماط الغين.[٤]

ج- تحوّل السين إلى الزاي للتأثر بما بعدها:

والسين والزاي صوتان لثويان[٥]، ومن تحوّل السين إلى الزاي مما جاء في العامي الفصيح قوله: الفستق معروف عندهم، ولكنهم يبدلون السين زايًا، والتاء دالًا، فيقولون: فزدق[٦]، وقد كثرة التغييرات في الكلمة؛ لأنها مُعرّبة من من الفارسية، عن بِستة، وقد نطق بها العرب، قال الراجز:

ولم تذق من البقول الفستقا[٧]

والذي يبدو لي أن الذي حدث في العاميّة المصرية في كلمة الفستق أن السين قد جُهرت، فتحوّلت إلى الزاي بعد جهر التاء وتحوّلها إلى الدال؛

(١) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٣٣٦/١، اللسان (ص م خ) ٤٤٢/٨
(٢) ينظر: الإبدال لأبي الطيب٣٣٦/١، ٣٣٩
(٣) ينظر: إبدال الحروف في اللهجات ٢٢٠
(٤) ينظر: المدخل في علم الاصوات المقارن ٢٠٤، الأصوات العربية المتحولة٤٨
(٥) ينظر: الأصوات المتحولة ١١٥، إبدال الحروف في اللهجات٣٧٥
(٦) ينظر: العامي الفصيح ١٥٦
(٧) ينظر: المعرب للجواليقي ٢٨٦، رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي ١٨٢، تحرير ألفاظ التنبيه ٣٤٢، المصباح المنير(ف س ت ق) ٤٧٢/٢، والرجز المذكور لأبي نخيلة في وصف امرأة، وقبله: دَسْتِيَّةً لَمْ تأكل المُرقَّقَا. اللسان (ف س ت ق) ٣٠٨/١٠

لتناسب الزاي الدال في الجهر، فيكون النطق بصوتين متماثلين في الجهر أسهل من النطق بصوتين مختلفين[١]، ويعد هذا من التأثر الرجعي الذي تأثر فيه الأول بالثاني، يقول أحد الباحثين: السين قد تغيّرت صوتيًّا إلى الزاي؛ لمجاورتها الأصوات المجهورة مما أكسبها صفة الجهر، ولم يكن هذا الطريق الذي سلكته العربية في نحو هذا خاصًّا بها، بل شاركها فيه بعض أخواتها من الساميات كالكنعانية والأكادية.[٢]

وإبدال الزاي من السين معروف في اللهجات القديمة، ووردت نصوص تدل عليه، من ذلك ما ذكره سيبويه:" فإن كانت سينٌ في موضع الصاد، وكانت ساكنةً لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه: يزدل ثوبه"[٣]، ومنه ما ذكره أبو الطيب: نزغه نزغا نزغا ونسغه نسغا إذا طعنه بيد أو رمح، وتزلع جلده وتسلع أي تشقق[٤]، وقد وقد عزي النطق بالزاي في نحو هذا إلى قبيلة كلب، وبخاصة مع حرف القاف كما في سقر يقولون فيها: زقر[٥]، كما نسبت لقبيلة الأزد في أمثلة أخرى كالزَّقف في السَّقف[٦]، وهى قبائل بادية مما يعنى أن هذه الظاهرة تعزى إلى البدو.[٧]

ويتبين مما سبق أن السين تحوّلت إلى الزاي، أي تحوّل الصوت الصفيري من الهمس إلى الجهر، أو تحوّل الحرف الأسناني اللثوي المهموس إلى نظيره المجهور.[٨]

وتحوّل السين إلى الزاي في العاميّات قديم، ذكر ابن هشام اللخمي

(١) ينظر : إبدال الحروف في اللهجات وأثر الصوت فيه٢٤٣
(٢) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن ٩٠، ٩١
(٣) ينظر: الكتاب ٤٧٨/٤ ـ ٤٧٩
(٤) ينظر: الإبدال لأبي الطيب ١٠٨/٢، ١١١
(٥) ينظر: سر صناعة الإعراب ٢٠٨/١
(٦) ينظر: العين (س ق ف) ٨١/٥
(٧) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية١٤، اللهجات العربية في التراث٢/ ٤٤٨ ٤٤٨
(٨) ينظر إبدال الحروف في اللهجات ٣٧٧

أنهم يقولون في سرداب: زرداب، والصواب سرداب[١]، وينطق الناس في مصر وبعض البلاد العربية السعتر: الزعتر.[٢]

د- تحوّل السين إلى الصاد للتأثر بصوت الإطباق بعدها:

الصاد هي النظير المفخم لصوت السين المرقق[٣]، يقول سيبويه: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا".[٤]

تحوّلت السين إلى الصاد في العاميّة المصرية، فمن ذلك مما جاء في العامي

الفصيح: الإسطبل للخيل يعرفها العوام، ويجعلون السين صادًا[٥]، ومنه: السوط يضرب به من جلد ونحوه، يبدلون السين صادًا ويضمونها.[٦]

ويلاحظ في تحوّل السين إلى الصاد في المثالين المتقدمين، أنه كان من أجل التأثر بالصوت المستعلي وهو الطاء، فالعلة في إبدال السين إلى الصاد هي اجتماع السين مع الحرف المستعلي في كلمة، وكون السين متقدمة على الصوت المستعلي؛ لئلا يقع تصعد بالمستعلي بعد التسفل بالسين، وهذا ما أشار إليه سيبويه في الباب الذي عقده تحت عنوان" باب ما تقلب فيه السين صادًا في بعض اللغات"، وذكر فيه أن القاف تقلب إلى السين إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، ومثل القاف الخاء والغين والطاء، وعزا هذا النوع من الإبدال إلي بني العنبر؛ حيث يقولون في ساطع: صاطع، وصالخ وصلخ في: سالخ وسلخ[٧]، وبنو العنبر من تميم وهي تميل إلى تيسير عملية النطق، فكأنها قد ثُقل عليها الجمع بين مستعل ومستفل في كلمة واحدة، فآثرت المستعلي؛ لما فيه من قوة ووضوح، وجانسته بنظيره السين المستعلي وهو الصاد[٨]، كما عزاها أبو حيان إلى بَنِي كَلْبٍ؛ يُبَدلُونَهَا

(١) ينظر: المدخل إلى تقويم اللسان٣١٦، المدخل في علم الأصوات المقارن ١٨٨
(٢) ينظر: المدخل في علم الأصوات المقارن ١٨٨
(٣) ينظر: الأصوات المتحولة ١١٥
(٤) الكتاب ٤٣٦/٤
(٥) العامي الفصيح ٢، وذكر أبوالطيب أن الإسطبل والإصطبل معرب. الإبدال ١٩٢/٢
(٦) العامي الفصيح ٨٣
(٧) الكتاب ٤٧٩/٤- ٤٨٠
(٨) اللهجات في الكتاب ٢٤٣

مِنَ السِّينِ، إِذَا جَامَعَتِ الْغَيْنُ أَوِ الْخَاءُ أَوِ الْقَافُ صَادًا[١]، وعزي الصراط في السراط إلى لغة قريش الأولين.[٢]

ويلاحظ فيما تقدم اشتراط سيبويه أن يكون الحرف المستعلي متأخرًا عن السين، ويبدو أن من جاء بعده ردد كلامه في هذا الشرط دون تتبع للظاهرة في كتب التراث[٣]، وقد اجتهد أحد الباحثين المحدثين[٤] – والحق معه– في نقض شرط سيبويه ومن نهج نهجه، وذهب إلى أن هذا الشرط يدل على عدم استقصاء للظاهرة، فقد ذكرت كتب اللغة والمعاجم أن تحوّل السين إلى الصاد، قد حصل دون أن يكون في الكلمة حرف استعلاء لا متقدمًا على السين ولا متأخرًا عنها، وذكر أمثلة كثير يستشهد بها على ما ذهب إليه، فمما ذكره السَّلْهَبُ والصلهب: الطويلُ[٥]، ومنه المُخْرَنْمِصُ: الساكتُ؛ عَنْ كُرَاعٍ وَثَعْلَبٍ، كالمُخْرَنْمِس، وَالسِّينُ أَعلى، وعن الْفَرَّاءُ: اخْرَمَّس واخْرَمَّص سكتَ[٦]، كما أتى بأمثلة من كتاب الإبدال لأبي الطيب مما ينقض هذا الشرط.[٧]

ولعل ما جاء في العامي الفصيح مما يؤيد هذا الباحث؛ حيث وردت بعض أمثلة تحوّلت فيها السين إلى الصاد، دون اشتمال الكلمة على حرف من حروف الاستعلاء، ومن ذلك، الحسرة: الحزن، يعرفونها، ولكن السين تقترب على ألسنتهم من الصاد، ومنه: السور كل ما يحيط بشيء من بناء ونحوه... وتقترب السين فيه من الصاد، ومنه: والمنسر جماعة اللصوص، والعوام يجعلون السين صادًا، ويقولون: جاء شيخ المنصر، أي رئيس جماعة

(١) البحر المحيط ٤١٨/٨
(٢) اللسان (س ر ط) ٣١٤/٧
(٣) ينظر: في ذلك قول الفراء في اللسان (س ر ط) ٣١٣/٧، و قول قطرب في (ص د غ) ٤٤٠/٨، وابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ٢٠٣ نقلا عن ابن دريد، وهذا الشرط شائع في بطون كتب اللغة والمعاجم
(٤) إبدال الحروف في اللهجات٣٧٣-٣٧٤
(٥) ينظر: الإبدال لأبي الطيب ١٩٢/٢، اللسان(س ل هـ ب) ٤٧٤/١
(٦) ينظر: اللسان(خ ر م ص) ٢٤/٧
(٧) ينظر: الإبدال ١٧٤/٢، ١٩٢

اللصوص، ومنه الناسور معروف عندهم، ويجعلون السين صادًا.[١]

ومما تقدم تبين أن الذي سوغ إبدال الصاد من السين في اللهجات القديمة والحديثة كونهما من مخرج واحد كما سبق، كما أن الصاد والسين يشتركان في صفات الهمس والرخاوة والإصمات، والصاد مطبق السين، أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها صوت السين، إلا أن فيه إطباقًا.[٢]

ولا مانع من القول بالتأثر أو المماثلة فيما قلبت فيه السين صادًا عند وجود حرف الاستعلاء، في اللهجات القديمة والحديثة، فقد حوّلت السين إلى الصاد لتأثر الأصوات بعضها ببعض، وميلها إلى التقارب فيما بينها، وعدّها المحدثون من المماثلة، ميلًا إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وتيسير النطق، واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلمات الحديثة، مالت ميلًا كبيرًا إلى هذا التأثر؛ إذ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة؛ لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض أثناء النطق.[٣]

الإدغام:

توطئة – أهميته - تعريفه- أنواعه

أما الإدغام فهو نوع من التأثير الذي يقع بين الأصوات المتجاورة، فالصوتان المتجاوران يقوى تأثر أحدهما بالآخر؛ حتى يقلب إلى صوت ليس مماثلًا لمجاوره في الصفة ، أو مقاربًا له في المخرج فحسب، بل ينقلب إلى صوت من جنسه، وحينئذ يذوب أحدهما في الآخر[٤]، ومن يدغم يذهب إلى أن الإدغام نوع من تخفيف الثقل في النطق، يقول ابن جني عن الإدغام ذاكرًا داعيه: "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت، ألا ترى أنك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نَبَا اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر"[٥]، وبهذا تكون فائدة الإدغام تخفيف اللفظ؛ لثقل عود اللسان إلى المخرج الأول

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢٣، ٨٣، ٢٢٧
(٢) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ١٥٣، ١٥٤، لغة تميم ١٣٧، ١٥٥
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ١٠٧- ١٠٨، خصائص اللهجة الحِلّية٦٤
(٤) ينظر: أصوات اللغة العربية للدكتور عيد الطيب٢٢٧
(٥) الخصائص ١٤٢/٢

أو مقاربه، فاختار العرب الإدغام طلبًا للخفة؛ لأن النطق بذلك أسهل من الإظهار، كما يشهد به الحس والمشاهدة، ولذلك شَبّه النحاة الإظهار بمشي المقيد؛ لأن الإنسان إذا نطق بحرف، وعاد إلى مثله أو مقاربه، يكون كالراجع حيث فارق، أو إلى قريب من حيث فارق[١]، ومع الإدغام يميل جهاز النطق إلى الاقتصاد في الجهد العضلي؛ كي يحقق سهولة النطق والخفة فيه، فيستغني عن إحدى الضربات أو أحد التحركات[٢]

والإدغام عند اللغويين إدخال حرف في حرف[٣]، وعند النحويين أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله متحرِّكٍ من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقفٍ، فيصيران لشدّة اتّصالهما كحرف واحد، ترتفع اللسانُ عنهما رفعةً واحدةً شديدةً، فيصير الحرف الأوّل كالمستهلَك على حقيقة التداخل والادغام[٤]، فاللغويون يجعلون الإدغام شاملًا لقلب الصوت إلى نظيره لإدخاله فيه، أما النحويون فهو عندهم مجرد النطق بمثلين ساكن فمتحرك، فعملية القلب منفصلة عن عملية الإدغام عندهم[٥]، أما القراء فهو عندهم اللَّفْظُ بِحَرْفَيْنِ حَرْفًا كَالثَّانِي مُشَدَّدًا[٦]، أو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين، فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة[٧]، وهذا التعريف دقيق، فهو لا يخرج عن تصوّر المحدثين، بمعنى أن أعضاء النطق لا تعود إلى وضع الراحة بعد نطق المِثل الأول، ثم تبدأ من جديد من أجل نطق المِثل الثاني، وإنما تبقى في الوضع الذي اتخذته من أجل المِثل الأول كما هي؛ حتى تنتهي من نطق المِثل الثاني، فاللسان مع الدالين في (قد دخل) يرتفع بهما ارتفاعة واحدة.[٨]

وَيَنْقَسِمُ الإدغام إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِير، فَالْكَبِيرُ مَا كَانَ الْأَوَّلُ مِنَ الْحَرْفَيْنِ

(١) ينظر: نهاية القول المفيد ١٤٠
(٢) دراسات في علم الصوتيات د. أبو السعود الفخراني ٢٠٩
(٣) اللسان(د غ م) ٢٠٣/١٢
(٤) شرح المفصل لابن يعيش ٥١٢/٥
(٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي١٢٣
(٦) ينظر: النشر في القراءات العشر ٢٧٤/١
(٧) ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ١٤٠
(٨) ينظر: عن علم التجويد القرآني في ضوء علم اللغة الحديث ١٨١

فِيهِ مُتَحَرِّكًا، سَوَاءٌ أَكَانَا مِثْلَيْنِ أَمْ متِجانسَيْنِ أَمْ مُتَقَارِبَيْنِ، وَالصَّغِيرُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا سَاكِنًا[1]، وأسباب الإدغام التماثل والتجانس والتقارب، فالتماثل هو أن يتّحد الحرفان مخرجًا وصفة، كالباء في الباء، والكاف في الكاف، والتجانس وهو أن يتفقا مخرجًا ويختلفا صفة، كالدال في التاء، والتاء في الطاء، والثاء في الذال، والتقارب هو أن يتقاربا مخرجًا أو صفة أو مخرجًا وصفة، كالدال والسين، أو الشين والذال، والزاي واللام مع الراء.[2]

العلاقة بين المماثلة والإدغام:

والمماثلة أعمّ من الإدغام بمعناه الاصطلاحي، من وجه أنها كانت شاملة لكل حالات التأثر، أما الإدغام فمقتصر على حالة الاندماج الصوتي الكامل؛ حيث يَفقد الصوت المتأثر وجوده فقدانًا كاملًا، وعلى رأي المناطقة فبين المماثلة والإدغام عموم وخصوص من وجه، فهما يجتمعان في حالة التفاعل الصوتي الكامل، وتنفرد المماثلة بحالات التأثير الناقص، وينفرد الإدغام بحالة التضعيف المحض الناشيء عن التقاء المثلين[3]، وسمى الدكتور أحمد مختار عمر الإدغام المماثلة الكاملة؛ لأن الصوتين يتطابقان تطابقًا كاملًا، ولعله استمد هذه التسمية من برجشتراسر، الذي قسّم التشابه والتماثل إلى كلي، ومثّل له بـ(آمنّا)، وجزئي ومثّل له بـ(اضطجع). [4]

الإدغام في العامي الفصيح:

وردت أمثلة للإدغام في العاميّة كما جاء في العامي الفصيح ، تحوّلت به الكلمة عن مسارها الفصيح، ويمكن تقسيم ذلك إلى ما يلي:

إدغام المتجانسين:

١- إدغام التاء في الدال: أدغمت التاء في الدال في العامي الفصيح،

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ٢٧٤/١- ٢٧٥

(٢) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ٣١، نهاية القول المفيد ١٤١، أصوات اللغة العربية٢٣٨، عن علم التجويد القرآني في ضوء علم اللغة الحديث ١٨٢- ١٨٣

(٣) ينظر: أثر الأصوات في القراءات والنحو العربي٢٣٥- ٢٣٦

(٤) ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه ١٨٧، وينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٨٧، التطور النحوي ٢٨- ٢٩، وفيه: وكان التشابه في (آمنا) كليا؛ إذ تطابق الحرفان تماما، وكان جزئيا في (اضطجع)؛ حيث تشابه الحرفان ولم يتطابقا.

ومنه يمشي يتدأدأ مِتَدَأْدِأ، ويدغمون التاء في الدال، فتصبح مِدْأدَأ[١]، والتاء والدال ومعهما الطاء صوتان متجانسان من مخرج واحد، هو مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[٢]، والتاء والدال أسنانيان لثويان، والتاء مهموسة والدال مجهورة، والدال هي النظير المجهور للتاء، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق[٣]، وأصحاب التجويد القرآني لم يتحدثوا عن إدغام صوت التاء في الدال؛ حيث ذكروا أن التاء تدغم في عشرة أصوات ليس من بينها الدال[٤] ولكن قد ورد إدغام التاء في الدال في فصيح كلام العرب، وذكر سيبويه أن من ذلك قولهم: ودٌّ، وإنما أصله وتدٌ، وهي الحجازية الجيدة. ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فخذ: فخذٌ فأدغموا[٥]، وهنا تجاور صوتا التاء والدال في وتِد وهما من مخرج واحد، إلا أن الدال صوت مجهور والتاء صوت مهموس، فتأثر المهموس بالمجهور، وهو تأثر رجعي، فقيل: وَدّ[٦]، ويلاحظ في نص سيبويه عزو (وَتِد) إلى الحجازيين، وعزو(وَدّ) إلى تميم، وعزاها الجوهري إلى أهل نجد[٧]، نجد[٧]، وتميم من أكبر القواعد النجدية، وهم يؤثرون الصوت المجهور؛ لما فيه من وضوح في السمع يناسب بيئتهم الصحراوية المترامية الأطراف[٨]، كما كما أنهم آثروا الإدغام لما فيه من مزج للصوتين يساعد على سرعة أدائهما، أما الحجازيون أصحاب التأني، فقد أخرجوا الكلمة(وتِد) على أصلها مجاورين بين المهموس والمجهور[٩] ، وما قيل عن (وتد) – من تأثر المهموس بالمجهور، والتأثر الرجعي – ومآلها إلى (ودّ) يقال في المثال الذي ذكرته عن العامي الفصيح.

(١) ينظر: العامي الفصيح٤٢
(٢) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٣) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات) ١٢٩
(٤) النشر ٢٨٧/١
(٥) الكتاب ٤٨٢/٤
(٦) اللهجات في الكتاب لسيبويه ١٩٩
(٧) الصحاح (ود د) ٥٤٩/٢
(٨) ينظر: في اللهجات العربية ١٠٦ وما بعدها، اللهجات في الكتاب لسيبويه ٢٠٠
(٩) ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه ٢٠٠

ب- إدغام التاء في الطاء: أدغمت التاء في الطاء في العاميّة، ومن ذلك: وتطَوّع للجندية، وهم يقولون: اطّوّع بالقلب والإدغام، وأصله تَطَوّع[١]، والتاء والطاء متجانسان من مخرج واحد سبق الكلام عنه، والتاء صوت مهموس شديد منفتح مستفل مرقق مصمت، والطاء مجهور قديمًا، مهموس حديثًا، وشديد مطبق مستعل مفخم، والطاء هو النظير المفخم للتاء[٢]، وقد ورد لإدغام التاء في الطاء أمثلة في القرآن الكريم منها ٱلَّذِى وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ يَٰٓأَيُّهَا[٣]، في الإدغام الكبير.[٤]

وتحدث سيبويه عن إدغام الفعل (يتطوعون) فصار يطّوّعون، فذكر أنه مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يطَّوّعون في يتطوعون، ويذّكّرون في يتذكرون، ويسّمّعون في يتسمعون.[٥]

وأغلب الظن أن الذين جنحوا إلى الإدغام في (يطّوّعون) هم من القبائل البدوية التي يصعب عليها الانتقال من مرقق إلى مطبق، فآثرت المطبق؛ لما فيه من وضوح في السمع، ومزجت فيه الصوت المرقق، وما حدث في العاميّة لعله أثر من آثار القبائل البدوية في اللهجات العاميّة.[٦]

إدغام المتقاربين:

ا- إدغام التاء في الجيم: يقولون: فلان مُتَجَبِّر، ولكنهم يدغمون التاء في الجيم، ويكسرون الميم، فتصبح الكلمة مِجَبِّر، ويقولون: المِجَبِّر عليه الله[٧]، ومنه: وتجرّأ من كلام العامّة... يلحقون بأول الفعل المضارع همزة وصل ويسكّنون التاء، بل ويدغمونها في الجيم، فتصبح هكذا: اجرّأ[٨]، فإدغام التاء في الجيم من إدغام المتقاربين، فالجيم من وسط

(١) ينظر: العامي الفصيح ١٠٩
(٢) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات) ١٢٩
(٣) من الآية ٢٩ سورة الرعد
(٤) ينظر: النشر ٢٨٨/١، عن علم التجويد القرآني ١٩٦
(٥) ينظر: الكتاب ٤٧٤/٤ ـ ٤٧٥
(٦) ينظر: اللهجات في الكتاب لسيبويه ٢٠١
(٧) ينظر: العامي الفصيح ١٣
(٨) ينظر: السابق ١٤

اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، والتاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا(١)، ولكنهما يشتركان في صفات الشدة والانفتاح والاستفال والترقيق والإصمات، وأُدغمت التاء في الفصيح، ومنه في القرآن الكريم ٱلَّذِى ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ يَٰٓأَيُّهَا (٢) في الإدغام الكبير، ومن أمثلته في الإدغام الصغير قوله تعالى تعالى ٱلَّذِى كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم يَٰٓأَيُّهَا (٣)، والملاحظ أن إدغام المتقاربين في الفصيح لم يقع إلا في كلمتين، ولم يأت في كلمة إلا في حالة واحدة، وهي إدغام القاف في الكاف إذا تحرك ما بعد القاف، وكان بعد الكاف ميم جمع، نحو (خلقكم) و (رزقكم) ماضيًا ومضارعًا(٤)، وَالْمُخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْعَشَرَةِ هُوَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ.(٥)

وقول العامة في مُتَجَبِّر :مِجَبِّر ونحوها تحوّل عن الفصحى؛لأن إدغام المتقاربين في كلمة لم يأت كما سبق إلا في إدغام القاف في الكاف، وعلى كل فيُعدّ إدغام التاء في الجيم مِجَبِّر إدغامًا رجعيًّا؛ حيث فني الصوت الأول في الثاني، أو دخل الصوت الأول في الثاني، وهو القياس في الإدغام وهو أعم أشكاله جميعا.(٦)

ب- إدغام التاء في الشين: أدغمت التاء في الشين في العامي الفصيح في كلمة (المتَشَوِّق)؛ حيث ينطقونها بإدغام التاء في الشين، فتصبح (المِشّوّق)(٧)، وهو أيضًا مثل سابقتها من إدغام المتقاربين، فالتاء والشين يتقاربان في صفات الهمس والانفتاح والاستفال والإصمات والترقيق، وبهذا الإدغام انحرفت الكلمة عن مسارها الفصيح، فإدغام المتقاربين لم يرد

(١) ينظر: الكتاب ٤٣٣/٤
(٢) من الآية٩٣ سورة المائدة
(٣) من الآية ٥٦ سورة النساء
(٤) ينظر: النشر ٢٨٦/١، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي١٣٧، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة١٩٤- ١٩٥
(٥) ينظر: النشر٢٧٥/١
(٦) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٧، أصوات اللغة العربية للدكتور للدكتور عبدالغفار هلال٢٣٩
(٧) ينظر: العامي الفصيح٩٢

إلا في إدغام القاف في الكاف، وإدغام التاء في الشين هنا من الإدغام الرجعي؛ حيث فني الصوت الأول في الثاني، وإدغام التاء في الشين ورد في الفصيح، ومنه في القرآن الكريم ٱلَّذِى بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ يَـٰٓأَيُّهَا[١] وذلك في الإدغام الكبير.[٢]

المخالفة الصوتية:

إذا كانت المماثلة تدعو الصوتين المتخالفين إلى التماثل والتقارب، فإن المخالفة تدعو الصوتين المتماثلين إلى التخالف [٣]، فنحن فيها أمام صوتين صوتين من جنس واحد، يجد المتكلم في تحقيقهما العسر والمشقة نفسيهما، فيسعى إلى التخلص من هذا العسر وتلك المشقة، بأن يبدل من أحدهما صوتًا آخر يختلف عنه في صفاته[٤]، والغرض من المخالفة منع الثقل وتحقيق الانسجام الصوتي.[٥]

ولا تعارض بين المماثلة والمخالفة، فالداعي إلى المماثلة هو الصعوبة التي قد تعترى النطق، وتدعو إلى التخفيف والاقتصاد في الجهد العضلي، وأيضًا فإن نطق الصوتين المتماثلين قد يكون سهلًا ميسورًا، لا يستنفذ جهدًا عضليًا كبيرًا، وقد يستدعى التماثل مجهودًا عضليًا أكثر، فيقتضى ذلك التخفيف بالمخالفة؛ لتحقيق السهولة في النطق.[٦]

والمخالفة تعني تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين،

---

(١) من الآية ٤ سورة النور

(٢) ينظر: النشر ٢٨٨/١، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة١٩٥، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٣٨

(٣) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٤٢، علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات ١٤٦ وما بعدها

(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة ، محمد الأنطاكي ٢١٤، لحن العامة والتطور اللغوي ٤٦

(٥) أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي ١٨٧، بتصرف.

(٦) السابق ١٨٧ وما بعدها

وهي ظاهرة تَحْدث بصورة أقل من حدوث المماثلة [١]، وقد عَرف الأقدمون وعلى رأسهم سيبويه المخالفة وإن لم يعطوها هذا الاسم، فقد تحدث عنها وذكر أمثلة لها "في باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد".[٢]

ومن ذلك في اللهجات القديمة: أمليت في أمللت، وتسرّيت في تسررت، وتظنيّت في تظنّنت[٣]، وقد عزيت لهجة إحلال الياء محل أحد المتماثلين إلى تميم وقيس، ولهجة التضعيف إلى الحجاز وأسد.[٤]

وتحققت المخالفة في العامي الفصيح في الصورة الآتية:

المخالفة بين المضعفين بإبدال أحدهما لينًا أو شبيهًا باللين:

تخلّص الناس في العاميّة من تضعيف المتماثلين بقلب أحدهما إلى صوت من أصوات اللين، أو الشبيهة بها[٥]، ومما جاء من إبدال أحد المتماثلين صوتًا من أصوات اللين هو الياء، في العامي الفصيح قوله: ومن كلام العوام خِطبة فلان لفلانة فَنَخَت بالتخفيف، أو فَنَّخَت بالتضعيف، ومعناه فسخت الخطبة، وربما قالوا فَنْيَخِت بإبدال النون الثانية ياء هربًا من التضعيف[٦]، وهذا المعنى العامي للكلمة مأخوذ من فنخ الْعقد والعزم لم يمضه.[٧]

ومما جاء من إبدال أحد المتماثلين صوتًا شبيهًا بصوت اللين مما ورد في العامي الفصيح: عَلْوَن الكتاب عَنونه، والعِلوان لغة في العِنوان[٨]، فالفعل فالفعل عَلْوَن والاسم العِلوان، والأصل عَنْون وعِنوان، قلبت فيهما النون الأولى لامًا، وهو مما اتفقت فيه العاميّة واللهجات العربية القديمة، حيث

(١) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٤
(٢) الكتاب ٤/٤٢٤، وينظر: الخصائص٢/٩٠ "باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف"،٢/٢٢٩ "باب تدافع الظاهر"
(٣) الكتاب ٤/٤٢٤
(٤) اللسان (م ل ل) ١١/٦٣١، اللهجات في الكتاب ٢٢٩-٢٣٠
(٥) ينظر: أوزان المضارع في اللغة العاميّة المصرية ٩٢
(٦) ينظر: العامي الفصيح ١٦٤
(٧) المعجم الوسيط (ف ن خ) ٢/٧٠٢
(٨) العامي الفصيح ١٣٢

وردت اللغتان في الفعل والاسم في كثير من كتب التراث، تقول: علونت الكتاب أعلونه علونة وعلواناً، فإذا أمرت قلت: علون يا معلون، وعنونته عنونة وعنوانًا[١]، و(عَنْوَنَ) الْكِتَابَ وَ(عَلْوَنَهُ)[٢]، وعَنْوَنْتُه وعَلْوَنْتُه بِمَعْنًى وَاحِدٍ[٣]، وكان الإبدال إلى اللام؛ لأن اللام أخف وأظهر من النون[٤]، واللام من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين كالميم والنون، فهي من السواكن؛ لأن مجرى الهواء أثناء النطق بها تعترضه حوائل، وتشبه أصوات اللين من حيث إنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف[٥]، ومنهم من جعل لغة عُلوان باللام غلطًا[٦]، وَلَيْسَ ذَلِكَ غَلَطًا، وَاللُّغَتَانِ صَحِيحَتَانِ، وَإِنْ كَانَتَا مُوَلَّدَتَيْنِ لَيْسَتَا مِنْ أَصْلِ كَلَامِ الْعَرَبِ.[٧]

وأختم التحوّلات الصوتية بما ذكره أحد الباحثين؛ حيث ذكر أن التحوّلات المذكورة في العاميّة ليست على وتيرة واحدة، أو لنقل إنها غير مطّردة، فكثير ممن نراهم يحوّلون القاف همزة، نجدهم في بعض الكلمات ينطقون القاف فصيحة، كما في كلمة (القاهرة) وكذا رُتَب عقيد ومقدّم ينطقها العامّة بالقاف، وهذا يعني أن هذه التحوّلات الحاصلة يمكننا أن نردّها إلى الصوت الفصيح بالمران والجهد والتدريب، كما أن التطوّر سنة الحياة، وتطوّر أو تحوّل الأصوات في العاميّة عن الفصحى أمر طبيعي، وكان من الممكن أن يدخل لغة الأدب الفصيحة، لولا ما خصت به هذه اللغة من ارتباط بالعقيدة؛ جعل الحرص على ثبات أصواتها مبدأً ثابتًا عند أهلها؛ كي لا ينفرط عقد الارتباط بكتاب الله تعالى. [٨]

(١) أدب الكاتب للصولي ١٤٧
(٢) مختار الصحاح (ع ن ن) ٢٢٠
(٣) اللسان (ع ن ن) ١٣/ ٢٩٤
(٤) التهذيب(ع ن) ٨٢/١، لسان العرب (ع ن ن) ١٣ /٢٩٤ وما بعدها
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية٢٨ وما بعدها
(٦) العين (ع ل و) ٢٤٧/٢، المصباح (ع ل و)٤٢٧/٢
(٧) المقاييس (ع ل و) ١١٩/٤، المخصص١٨٩/٤
(٨) ينظر: أصوات العربية بين التحول والإثبات ٧٦

المبحث الثالث
التحوّل المقطعي

توطئة: المقطع – تعريفه- أهميته- أنواعه

نظرا للتحوّل الحاصل في أصوات العاميّة عن الفصحى، فلا بد أن يستَتْبع ذلك تغيّر في نظام المقاطع الصوتية في بعض كلماتها عن الفصحى، وألمح أحد الباحثين إلى أن النظام المقطعي مختلف بين العاميّة واللغة الفصيحة إلى حد ملحوظ، فاللهجات الحديثة قد استحدثت لها نظمًا مقطعيّة تكاد تقطع الصلة بينها وبين اللغة الفصيحة في هذا الشأن، فاللهجات العاميّة في شمال لبنان اتّبعت نظامًا مقطعيًّا تأثرت فيه باللغة السريانية. (١)

وبداية نعرف بالمقطع وأهميته، ونظام المقاطع الصوتية في الفصحى، ثم نخلص إلى التحوّل المقطعي في كلمات العاميّة من خلال ما جاء في العامي الفصيح، والمقطع معروف في التراث العربي، وإن كان مختلفًا عند بعض الأقدمين عما يعرفه المحدثون، فابن جني يقول: "اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلًا متصلًا، حتى يَعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"(٢)، فكلمة المقطع مفردة ومجموعة في النص السابق لا تَمُتّ بصلة للمقطع حسبما يتصوره المحدثون، وإنما تعني قطع الهواء أو وقوفه كليًّا كما في الأصوات الوقفات، أو جزئيًّا كما في الاحتكاكيات، فابن جني استخدم كلمة المقطع كاسم مكان أو مصدر ميمي، إشارة إلى مكان قطع الهواء، أو حدوث هذا القطع(٣)، ولعل أقرب محاولات الأقدمين إلى تصوّر المحدثين في المقطع محاولة الفارابي في كتابه الموسيقى الكبير، حين قال: "وكل حرف غير مصوّت(صامت) أُتبع بمصوّت قصير(حركة قصيرة) قُرن به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمّونه الحرف المتحرك، من قِبل أنهم يسمون

---

(١) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ٥٩٠- ٥٩١
(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب١٩/١، علم الأصوات د. بشر ٥٠٦
(٣) ينظر: علم الأصوات د. بشر ٥٠٦

المصوّتات القصيرة حركات، وكل حرف يُتبَع بمصوّت طويل فإنا نُسميه بالمقطع الطويل"، وهذه المحاولة من الفارابي تُشبه أو تماثل تصور المحدثين للمقطع. (١)

أما المُحْدثون فإن للمقطع عنهم أكثر من تعريف، حسب الوجهة التي يمكن أن يُعرّف بها، فهو من الناحية الفسيولوجية النطقية عبارة عن: دفعة هوائية واحدة، يتم تشكيلها في الجهاز الصوتي لدى الإنسان، وينجم عنها صوت واحد، وهو تصور فوناتيكي عام للمقطع، يمكن أن ينطبق على جميع اللغات(٢)، وهو من الناحية الفونولوجية: الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر، أو وحدة تحتوي على صوت علة واحد فقط، إما وحده، أو مع سواكن بأعداد معينة ونظام معين.(٣)

وجمع بعض الباحثين بين الوجهتين الفوناتيكية والفونولوجية، فرأوا في المقطع الصوتي: سلسلة متتابعة من الأصوات، تتكون منها أصغر وحدة صوتية ممكنة(٤)، وذهب بعضهم إلى أنه من الضروري الاعتراف بنوعين من المقاطع، أولهما: المقطع التشكيلي(الفونولوجي) والآخر: هو المقطع الأصواتي (الفونتيكي)، أما أول هذين فهو تجريدي مكوّن من حروف، وأما الثاني فهو أصواتي محسوس مسموع مكوّن من أصوات، وهذه الثنائية في التناول نتيجة حتمية للاعتراف بالحقيقة القائلة: إن كل ما هو تقعيدي لا يتحقق دائمًا في النطق بالضرورة.(٥)

وترجع أهمية المقاطع ودراستها لأمور عديدة، أهمها: إنها أساس لاكتساب طريقة النطق المطابق لنطق أصحاب اللغة، فأحسن طريق للتعوّد على النطق الصحيح للنغمات الصوتية، وللوقفات الموجودة في لغة أجنبية،

(١) ينظر: علم الأصوات د. بشر ٥٠٧
(٢) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩١- ١٩٢
(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي٢٨٦، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني١٩٢
(٤) ينظر: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩٣
(٥) ينظر: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩٣، مناهج البحث في اللغة١٤١

هي نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطء، مقطعًا مقطعًا مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع، وبالتدريج يزيد المرء من سرعة النطق للحدث الكلامي حتى يصل للسرعة العادية[١]، كما أنه عن طريق المقطع يُبنى نسج الكلمة في أي لغة من اللغات.[٢]

والمقاطع مختلف في تصنيفها حسب وجهة نظر وتصوّر من يقوم بتصنيفها، فهي من حيث مُدة النطق بها، منهم من يقسمها إلى قصير ومتوسط وكبير، فالقصير ما تكوّن من صامت وحركة قصيرة، ويرمز له(ص ح) [٣]، والمتوسط، وهو نمطان، الأول: ما تكوّن من صامت+ حركة قصيرة+ صامت، ويرمز له(ص ح ص)، والثاني: ما تكوّن من صامت+ حركة طويلة، ويرمز له (ص ح ح)، والطويل وله ثلاثة أنماط، الأول: ما تكوّن من صامت+ حركة قصيرة + صامت+ صامت، ويرمز له(ص ح ص ص)، والثاني: ما تكوّن من صامت+ حركة طويلة+ صامت+ صامت، ويرمز له(ص ح ح ص ص)، والثالث: ما تكوّن من صامت + حركة طويلة+ صامت، ويرمز له(ص ح ح ص) [٤]، كما تنقسم المقاطع إلى مقاطع مفتوحة، وهي المنتهية بحركة، قصيرة كانت أو طويلة، ومقاطع مغلقة أو مقفولة، وهي المنتهية بصوت صامت[٥].

(١) دراسة الصوت اللغوي٢٨٣، وقارن بـ أصوات اللغة العربية للدكتور عبدالغفار هلال٢١٠

(٢) الرمز للصوت الصامت (ص)، والرمز للحركة القصير(ح)، والرمز للحركة الطويلة (ح ح)، ومن المحدثين من يرمز للصامت (س)، على أنه اختصار للساكن، وللحركة القصيرة (ع)، على أنها اختصار للعلة القصيرة، وللعلة الطويلة (ع ع). ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٠١، أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال ٢٠٢، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩٤- ١٩٥

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية٨٧، أصوات اللغة العربية٢١٠

(٤)علم الأصوات د. بشر ٥١٠-٥١١، وقارن بـ الأصوات اللغوية٩٢، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩٧، ، أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال ٢٠٣، دراسات في علم الصوتيات د. أبو السعود الفخراني١٩٧

(٥) ينظر: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ١٩٧، أصوات اللغة العربية د. عبدالغفار هلال ٢٠٢

التحوّل المقطعي في العامي الفصيح:

لما كانت العاميّة قد أسقطت حركات الإعراب بالكلية، فإن نطق العوام قائم على تسكين أواخر الكلمات، ومن أجل ذلك فإنني نظرت إلى الكلمات مقطعيًّا على أنها ساكنة الأواخر، فالتحوّل في النسيج المقطعي هنا مرحلة تالية لما بعد التخلّص من حركات الإعراب بصفة عامة، وبالتالي فإنه يَحسن تقسيم التحوّل المقطعي من خلال ما جاء في العامي الفصيح إلى ما يأتي:

أولا: نقص عدد المقاطع مع التغيير في أنواع بعض الباقي منها، ويشمل:

ا- كلمات أدى تحوّلها في العاميّة إلى نقص المقاطع مع تغيير في بعضها:

ربما كان نقص المقاطع رغبة منهم في السهولة واليسر في النطق، ومن ذلك كلمة (مُحاوَطهْ) المكوّنة من أربعة مقاطع هي: قصير مفتوح + متوسط مفتوح+ قصير مفتوح+ متوسط مغلق، فآلت الكلمة إلى (مُحَوْطَهْ) [1] المكوّنة من ثلاثة مقاطع فقط هي: قصير مفتوح + متوسط مغلق+ متوسط مغلق، وهنا انكمشت صوت اللين الطويل الألف واقتصر على بعضه الفتحة، فتسبّب ذلك في نقص عدد المقاطع وتغيير بعض أنواعها، ويبدو أن صيغة (مُفَاعَلة) وعليها (مُحاوَطَة) ثقيلة وطويلة في النطق بسبب إطالة الصائت؛ لذا قلّ استعمالها في العاميّة، فخففت بانكماش الحركة الطويل، فأصبحت(مَحَوْطَهْ) على (مُفَعْلهْ).

وبعض الكلمات نتيجة تحوّلها في العاميّة نقصت مقاطعها من ثلاثة إلى اثنين فقط، ومن ذلك كلمات(حاشِيهْ) و(حامِيَهْ) و(خاطِئهْ) وكل واحدة منها مكوّنة من ثلاثة مقاطع هي: متوسط مفتوح+ قصير مفتوح+ متوسط مغلق، فآلت إلى(حَشْيَهْ) و(حَمْيَهْ) و(خَطْيَهْ)[2] فأصبحت كل منها مكوّنة من مقطعين فقط من النوع المتوسط المغلق، وهنا أيضا انكمش صوت اللين الطويل(الألف) حيث حذفت من اسم الفاعل، واستغني ببعضها وهي الفتحة

(١) ينظر: العامي الفصيح ٣٠
(٢) ينظر: العامي الفصيح ٢٤، ٢٨، ٣٨

القصيرة، فتسبب في نقص عدد المقاطع وتغيير بعض أنواعها.

ومما نقص فيه عدد المقاطع من ثلاثة إلى اثنين غير ما سبق كلمة(جُمادَى) المكونة من قصير مفتوح+ متوسط مفتوح + متوسط مفتوح، فآلت إلى (جُمادْ)[1] المكونة من مقطعين فقط هما: قصير مفتوح + طويل مغلق (ص ح ح ص)، وهنا انكمشت الحركة الطويلة(الألف) التي في آخر الكلمة، واستغني عنها بالفتحة القصيرة، ثم تمّ التخلّص من الفتحة أيضًا؛ لأن العامّة تخلّصت من الحركات في أواخر الكلمات سواء كانت حركة إعراب أو بناء.

ب - اندماج المقطع القصير المفتوح في مثله؛ ليصبحا واحدًا من المتوسط المغلق:

حذفت حركة بعض المقاطع في العاميّة (سكنتْ حركته)، وهي في هذا تلتقي مع لهجات قديمة تحذف الحركة من بنية الكلمة، وقد سبق الحديث عن ذلك في حذف الحركة، ومن الكلمات التي حذفت حركتها كلمات(تَبِعَة) (الخلَبوص) (الحَلَوان) و(مُتَحَمِّس) و(السبُع) و(الضّبُع) و(العَدَس) و(مُتَعَنّتْ) و(مُتَفائل) و(الفخِذ) و(مُتَفَرّعْ) و(الكتِف) ، فهذه الكلمات تنطقها العامّة بحذف الحركة من ثوانيها، وكذا سُكّنتْ أواخرها[2]، وحذف الحركة يعنى اختصار عدد المقاطع؛ حيث يندمج المقطع المفتوح الذي حذفت نواته أو قمته في المقطع المفتوح الذى قبله، ليصير مقطعًا واحدًا من النوع الثالث، أي من النوع المتوسط المغلق، فالمقطعان الأول والثاني (ص ح) + (ص ح) يصبحان (ص ح ص)، وقد حدث حذف الحركة من نحو هذا عند بعض القبائل قديمًا، وهي بدوية تميل إلى المقاطع المغلقة، وهذا الميل من متطلبات ما عُرف عنهم من السرعة في النطق؛ حيث تحتاج هذه السرعة إلى وقفات تحدّ منها وتكبح جماحها[3]، أما في العاميّة فتحوّلت الكلمة إلى مقطع

---

(١) ينظر: السابق ١٧

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٠، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٧٥، ١٠٠، ١١٧، ١٣٤، ١٤٩، ١٥١،١٥٤، ١٩٦

(٣) الحركات العربية ٢١٩، ٢٢٠ بتصرف، وينظر: اللهجات العربية في التراث ٢١٥

واحد من الطويل المغلق في حال الوقف(ص ح ص ص) فما وُجِد في العاميّة هو اختصار لعدد المقاطع وتقليصها، وهو نوع من أنواع السهولة في النطق، والاختلاف في التركيب المقطعي يعني شيئين: هما الاختلاف في توزيع الحركات، والاختلاف في نظام النبر، وهاتان الصورتان دلالتان واضحتان على شدة الخلاف الصوتي بين اللهجات العاميّة واللغة الفصيحة.[١]

ثانيا: الزيادة في عدد مقاطع الكلمة، ويشمل:

ا- زيادة مقطع على مقاطع الكلمة:

من الكلمات ما نتج عن تحوّلها في العاميّة زيادة في مقطع واحد على مقاطعها، ومن ذلك كلمة(حِرْباءْ) المكوّنة من مقطعين هما متوسط مغلق+ طويل مغلق(ص ح ح ص)، فآلت إلى (حِرْبايهْ) [٢] المكوّنة من ثلاثة مقاطع هي متوسط مغلق+ متوسط مفتوح+ متوسط مغلق، و(حِرْباءْ) على زنة (فِعْلاء)، وهي صيغة ثقيلة غير مشهورة ولا مستعملة بكثرة في العاميّة، ومما زادت فيه الكلمة مقطعًا كلمة(رحى) لما يُطحن بها، وهي مكوّنة من مقطعين قصير مفتوح + متوسط مفتوح، فآلت إلى (رِحايهْ) [٣] المكوّنة من ثلاثة مقاطع هي قصير مفتوح + متوسط مفتوح + متوسط مغلق، والصيغة الجديدة سهلة النطق على ألسنتهم، ومما زادت فيه الكلمات مقطعًا بعد تحوّلها في العاميّة كلمة (مُفْلِسْ) وهي مكونة من مقطعين من النوع المتوسط المغلق، فآلت في نطق العامّة إلى (مِفَلِّسْ) [٤] وهي مكونة من ثلاثة مقاطع: قصير مفتوح + متوسط مغلق+ متوسط مغلق، والصيغة الأولى على (مُفْعِل) وهي غير مستعملة بكثرة في العاميّة، بخلاف الصيغة الثانية على (مِفَعِّل) فرغم صعوبتها وتضعيف صوت فيها فهي مستعملة في العاميّة، فهم كثيرًا ما يقولون: (مِبَطّلْ) و(مِكَسّلْ) وغير ذلك.

---

(١) ينظر: علم الأصوات د. بشر ٥٩١

(٢) ينظر: العامي الفصيح ٢١

(٣) ينظر: السابق ٥٩

(٤) ينظر: السابق ١٦١

ب - زيادة مقطعين مع تغيير في بعض الباقي:

وينطبق ذلك على بعض كلمات تحوّلت في العاميّة في العامي الفصيح، فنتج عن هذا التحوّل زيادة في عدد المقاطع، وتغيير في بعض الأنواع، ومن ذلك كلمة (جِلْبابْ) المكونة من مقطعين هما متوسط مغلق + طويل مغلق(ص ح ح ص)، فآلت إلى (جَلابِيَّهْ)[1] المكونة من أربعة مقاطع: قصير مفتوح + متوسط مفتوح+ متوسط مفتوح + متوسط مغلق، و(جلباب) على وزن فِعْلال، وهذه الصيغة ثقيلة غير مستعملة في العاميّة بكثرة، أما ((جَلابِيَّهْ) فرغم زيادة مقاطعها فهي سهلة النطق على ألسنتهم.

ثالثا: التحول في مقاطع الكلمة، ويشمل:

ا- تحوّل مقطعي الكلمة المكونين لها:

بعض الكلمات في العامي الفصيح مكوّنة من مقطعين، وحدث تحوّل في مقطعيها، ومن ذلك كلمة(حَصَاهْ) تحولت إلى (حصْوَهْ) رجوع بالمفرد إلى الأصل، فالمقطع الأول كان قصيرًا مفتوحًا، فتحول إلى متوسط مغلق، والمقطع الثاني كان طويلًا مغلقًا(ص ح ح ص) فتحوّل إلى متوسط مغلق، ومن ذلك كلمة (رئيسْ) حولتها العامّة إلى (ريّس)[2] وكانت قبل التحوّل مكوّنة من قصير مفتوح+ طويل مغلق(ص ح ح ص)، آلت بعد تحوّلها إلى متوسط مفتوح+ متوسط مغلق، وربما كانت صعوبة الصيغة الأولى هي السبب في هذا التحوّل بالإضافة إلى ثقل الهمزة الذي زاد من صعوبتها، ومما تغيّر فيه مقْطعَا الكلمة (مَصِيفْ) تحولت إلى (مَصْيَفْ)[3] فالمقطع الأول كان قصيرًا مفتوحًا، فتحوّل إلى متوسط مغلق، والمقطع الثاني كان طويلا مغلقا(ص ح ح ص)، فتحوّل إلى متوسط مغلق، ولا شك أن الانتقال من فتح إلى كسر في (مَصِيفْ) أثقل من الانتقال من الفتح الخفيف إلى ما هو أخف منه، وهو السكون في (مَصْيَفْ).

---

(١) ينظر: العامي الفصيح ١٦

(٢) ينظر: السابق ٥٦

(٣) ينظر: السابق ٢٥، ٩٨، ٩٩

ب- تحوّل في مقطعين فقط من مقاطع الكلمة:

ومن الكلمات التي تحوّل مقطعين من مقاطعها كلمة(حِدَأَهْ) تحوّلت إلى (حِدَّايَهْ)[١] فالكلمة قبل التحوّل مكوّنة على الترتيب من مقطع قصير مفتوح+ قصير مفتوح+ مقطع متوسط مغلق، فآلت على الترتيب إلى: مقطع متوسط مغلق+ متوسط مفتوح+ متوسط مغلق، فالتحوّل كان في المقطعين الأولين وثبات المقطع الثالث، وربما كان السبب في هذا التحوّل هو صعوبة الصيغة مع وجود الهمزة التي زادت من صعوبتها.

ج- التحوّل في مقطع واحد من مقاطع الكلمة، ويشمل:

١- التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مفتوح:

تحوّل المقطع القصير المفتوح إلى متوسط مفتوح في بعض كلمات من العاميّة، ومن ذلك (رَجُلْ) تحوّلت إلى(راجِلْ)، وكلمة (فَشِلْ) تحوّلت إلى فاشلْ[٢]، فالمقطع الأول كان قصيرًا مفتوحًا تحوّل إلى متوسط مفتوح، وربما كان لنبر هذا المقطع أثر في إطالة الصائت القصير بغرض إبرازه وتوضيحه، وكذلك كلمة (مفْرَمهْ) تحوّلت إلى (فرّامَهْ)[٣] فالمقطع الثاني كان قصيرًا مفتوحًا، فأصبح متوسطًا مفتوحًا، والنبر عليه في الغالب.

٢- التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مغلق:

اتّخذ التحوّل المقطعي من قصير مفتوح (ص ح) إلى متوسط مغلق(ص ح ص) ومن ذلك الأفعال التي ضعّفت العامّة عيناتها بعد حذف حركة البناء من أواخرها، فمعلوم أن العاميّة كما تخلّت عن حركة الإعراب، فهي استغنت أيضًا عن حركة البناء في الأفعال، ثم تطوّر الأمر بعد تسكين أواخر الأفعال إلى نطق الأفعال مضعّفة العين، وترتّب على ذلك ما سمّيته بالتحوّل المقطعي من مقطع قصير مفتوح إلى متوسط مغلق، ومن أمثلة ذلك أن العوام يضعّفون عين الثلاثي من أفعال (ختنْ) و(خرطْ) و(خمسْ)

---

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢١
(٢) ينظر: السابق ٥٨، ١٥٧
(٣) ينظر: السابق١٥٥

و(غلقْ) و(قطبْ) و(كسلْ) و(كشرْ) و(كفنْ) و(لسنْ) [1]، فالأفعال السابقة تخلّص العوام من حركة البناء في آخرها، ثم بعد ذلك ضُعّفت عيناتها، والأفعال(ختنْ) و(خرطْ) و(خمسْ) و(غلقْ) و(قطبْ) و(كسلْ) و(كشرْ) و(كفنْ) و(لسنْ) قبل تضعيف عينها مكوّنة بعد حذف حركة البناء من مقطع قصير مفتوح+ مقطع متوسط مغلق، وبعد تضعيف العامّة لعينات هذه الأفعال تكوّنت من مقطعين من النوع المتوسط المغلق.

ومن ذلك بعض الكلمات حرّف العامّة نطقها بعد التخلّص من حركتي الإعراب والبناء، ومنها:(تحبّبْ) و(محابي) و(تحرّشْ) و (حصانْ) و(معطّبْ) و(معطّرْ) و(تفاقمْ) و(مقرفصْ) و(قرنفلْ)(تلجلجْ)، فالكلمات السابقة بعد تخلّي العامّة فيها عن حركتي الإعراب والبناء، ينطقونها بسكون الحرف الأول، ثم يجتلبون همزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن، فأصبح نطقها عندهم على الترتيب(اتْحبّبْ) و(امْحابيْ) و (اتْحرّشْ) و(واحْصانْ) و(امْعطّبْ) و(امْعطّرْ) و(اتْفاقمْ) و(امْقَرْفصْ) و(اقْرنفلْ) و(اتْلجلجْ)[2]، فالكلمات قبل تسكين أوائلها كانت كل واحدة منها تبدأ بمقطع قصير مفتوح، وبعد تسكين الأول واجتلاب همزة الوصل قبل الساكن أصبحت تبدأ بمقطع متوسط مغلق، أما بقية مقاطع الكلمات فلم يحدث فيها أي تغيير.

ومن ذلك كلمات(شَفهْ) المعروفة و(عِلَاقهْ) للتي يُعلق بها السيف ونحوه، حرّفتهما العامة إلى (شِفّهْ) و(عِلّاقهْ) بتشديد الفاء واللام منهما[3]، وهما قبل التضعيف تبدأ كل واحدة منها بمقطع قصير مفتوح، فآل بعد التشديد إلى مقطع متوسط مغلق، ويبدو أن التشديد في كلمة(عِلّاقَهْ) لما يعلق به السيف ونحوه عند العوام حتى لا تلتبس الكلمة بكلمة(علاقة) الصالحة لأي نوع من العلاقات كالاجتماعية والسياسية ونحوها، وكذلك كلمة(

(١) ينظر: العامي الفصيح ٣٣، ٣٥، ٣٧، ١٤٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ١٢٥، ١٦١، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٣

(٣) ينظر: السابق ٨٩، ١٣٠، في اللسان(ع ل ق) ٢٦٢/١٠: وعَلَّقَ الشيءَ بِالشَّيْءِ وَمِنْهُ وَعَلَيْهِ تَعْليقاً: ناطَهُ. والعِلاقَةُ: مَا عَلَّقْتَه بِهِ

كَمَادهْ) للخرقة تَسخّن وتوضع على الورم، والعوام حوّلتها إلى (كَمّادهْ) بتشديد الميم[١]، فالمقطع الأول فيها كان قصيرًا مفتوحًا، فآل إلى متوسط مغلق.

٣- التحوّل من متوسط مفتوح إلى متوسط مغلق:

ومن ذلك كلمة (مَثْوَى) التي تحوّلت عند العوام إلى (مثوهْ)[٢]، فالكلمة قبل التحوّل كان مقطعها الثاني متوسطًا مفتوحًا، آل بعد تحوّل الكلمة عند العوام إلى مقطع متوسط مغلق، وهنا تخلّصت العاميّة من الألف المقصورة، كما استغنت عن الممدودة ، وحلّت تاء التأنيث محلهما التي تنطق في الوقف هاء، وهو من ميل اللغة إلى السهولة والتيسير، فبدلًا من أن يكون للتأنيث ثلاث علامات تصبح في اللغة الواحدة علامة واحدة لكل نوع من أنواع المؤنث[٣]، والتخلّص من علامتي التأنيث وغلق الكلمات بمقطع متوسط مغلق نهج قديم في العاميّة، فقد ذكر الزبيدي أن عوام عصره يقولون: لضرب من الشجر دِفله، والصواب دِفْلى على مثال فِعْلى والألف للتأنيث، كما أنهم يقولون للذي عُقد من العسل أو السكر: حَلْوَه، والصواب حَلْواء بالمد، ويقولون: حبارة والصواب حبارى.[٤]

٤- التحوّل من متوسط مغلق إلى قصير مفتوح:

ومن ذلك أن العامّة يستعملون الفعل(أعْطى) مجردًا، فيقولون:(عَطا) [٥] فالفعل المزيد مكوّن من مقطعين: الأول متوسط مغلق، والثاني: متوسط مفتوح، وقد آل المقطع الأول في الفعل المجرد إلى قصير مفتوح، ومنه الفعل(أقْفَلْ) يستعمله العامّة مجردًا من الزيادة فيقولون: (قَفَلْ)[٦]، فالفعل مزيدًا مكوّن من مقطعين من النوع المتوسط المغلق، أما استعمال العامّة له

(١) ينظر: العامي الفصيح ١٩٨
(٢) ينظر: السابق ١٢
(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٢٦٢-٢٦٣، لحن العامة والتطور اللغوي ٥٢- ٥٣
(٤) ينظر: لحن العوام ١٣٩- ١٦٤- ٢٧١
(٥) ينظر: العامي الفصيح ١٢٦
(٦) ينظر: السابق ١٨٢

مجردًا جعل المقطع الأول يتحوّل إلى قصير مفتوح، وهو من الميل إلى السهولة؛ حيث تمّ التخلص من الهمزة في أول الكلمة، فتغيّرت الصيغة في الفعلين من مزيدة إلى مجردة، فتسبب ذلك في تغيير المقطع من متوسط مغلق إلى قصير مفتوح.

٥- التحوّل من متوسط مغلق إلى طويل مغلق:

ومن ذلك أن كلمة(الصّيّتْ) بمعنى حسن الصوت تنطقها العامّة (الصّيّيتْ)[١]، وبعد حذف السابقة (ال) فإن الكلمة قبل تحوّلها مكوّنة من مقطعين هما متوسط مفتوح+ متوسط مغلق، وبعد تحولها آل المقطع الثاني إلى الطويل المغلق(ص ح ح ص)، وربما كان لنبر هذا المقطع الأخير وإرادة وضوحه عندهم أثر في إطالة الصائت القصير، الذي أدى إلى هذا التحوّل، ومن ذلك فعل الأمر من الفعل الأجوف(فُت) فإن العامة يردّونه إلى أصله فيقولون: (فُوتْ علينا بكرة) بعدم حذف عين الأجوف مع سكون لامه، وهذا شائع في العاميّة نحو قولهم: قوم بدلا من: قم، ونام بدلا من: نم[٢] ، وصنيع الفصحى في حذف قمة المقطع الأخير منه يصبح الفعل كله مقطعًا واحدًا مديدًا[٣]، فتخلّصت منه العربية الفصحى بانكماش قمته (أصوات المد الطويلة) إلى نصفها(الضمة والكسرة والفتحة) وبذلك تحوّل المقطع المديد إلى مقطع طويل مغلق؛ لأن السكون فيه ليس عارضًا للوقف بل هو علامة بناء للجزم[٤] أما العاميّة في مثل هذه الأفعال فهي نقضت ما فعلته الفصحى، ونطقت بفعل الأمر على أصله (فُوتْ)، وبذلك أصبح مقطعًا واحدًا من النوع الطويل المغلق(ص ح ح ص) حسب التقسيم الذي ارتضيه وسرت عليه،

---

(١) ينظر: العامي الفصيح ٩٨

(٢) ينظر: العامي الفصيح ١٦٥

(٣) ينظر: يسمي بعض الباحثين المقطع المكون من(ص ح ح ص) مديدا الذي يسميه آخرون طويلًا في حال الوقف، كما يطلق بعضهم على المقطع(ص ح ص) طويل مغلق الذي يسميه آخرون متوسطًا مغلقًا. ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ٨٥ ، دراسات في علم الصوتيات ١٩٧

(٤) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ٨٥- ٨٦، انكماش أصوات المد الطويلة في العربية المواقع والأسباب ١٣٧

ويبدو أن نبر المقطع هو الذي أدى إلى زيادة في كمية الصائت القصير.

٦- التحوّل من طويل مغلق إلى متوسط مفتوح:

ومن ذلك كلمات تغيّر فيها المقطع الأخير من طويل مغلق إلى متوسط مفتوح وهي كلمات(الحفاءْ) و(الخلاءْ) و (الدفاءْ) و(شتاءْ)(عطاءْ) و(عياءْ) و(غراءْ) و(غطاءْ) و(فساءْ) و(قضاءْ) و(كهرباءْ) فالكلمات السابقة عند الوقف عليها وتجريدها من علامات الإعراب تنتهي بمقطع طويل مغلق(ص ح ح ص)، ولكنها آلت في نطق العامّة إلى(الحفا) و(الخلا) و(الدفاء) و(شتا) و(عطا) وعيا) و(غرا) و(غطا) و (فسا) و(قضا) و(كهربا) [1]، فانتهت الكلمات بمقطع متوسط مفتوح(ص ح ح) ولا شك أن الكلمات على هذا النحو أيسر في النطق من نطق الكلمات ممدودة أو مهموزة، والعاميّات تنشد اليسر والسهولة دائما.

٧- التحوّل من طويل مغلق إلى متوسط مغلق:

هناك كلمات عديدة تحوّل فيها المقطع الأخير من طويل مغلق إلى متوسط مغلق، ومن ذلك كلمات(ثرماءْ) التي آلت إلى ترماءْ بإحلال التاء محل الثاء، ثم ترمة، وهي وصف لمن سقطت أسنانها و(جرباءْ) وصف لأنثى و(حلفاءْ) لنبات أطرافه كسعف النخل، و(حنّاءْ) و(خنفساءْ) و(خناءْ) لمن تخرج الكلام من الخيشوم، و(رعناءْ) و(رفّاءْ) للذي صناعته رفو الثياب ونحوها، و(روشاءْ) لمن خفّ عقلها، و(شقراءْ) لمن اشرب بياضها حمرة، و(صحراءْ) و(طرشاءْ) للصماء، و(عجماءْ) للبهيمة، و(عاشوراءْ) و(عمشاءْ) و(فحشاءْ) و(فقهاءْ) و(كرماءْ) و(كنعاء) لمن لا تتقن العمل، و(لثغاءْ) ثم لتغاءْ إبدال الثاء تاء، ثم لتْغَهْ لمن تحوّل لسانها من حرف إلى حرف، فالكلمات السابقة على نطق العوام بعد تجريدها من علامة الإعراب تنتهي بمقطع طويل مغلق(ص ح ح ص) ولكنهم في مرحلة تالية قاموا

(١) ينظر: العامي الفصيح ٢٦، ٤٠، ٤٧،٨٥، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٧، ١٧٩، ١٩٩

بحذف ألف التأنيث الممدودة وحلت محلها تاء التأنيث، فآلت الكلمات على لسانهم على النحو الآتي: (ترمهْ) و(جربهْ) و(حلفهْ) و(وحنهْ) و(خنفسهْ) و(خنهْ) و(رعنهْ) و(رفهء) و(روشهْ) و(شقرهْ) و(صحرهْ) و(طرشهْ) و(عجمهْ) و(عاشورهْ) و(عمشهْ) و(فحشهْ) و(فقهْ) و(كرمهْ) و(وكنعهْ) و(لتغهْ)[1]، فانتهت مقاطع الكلمة على هذا بمقطع متوسط مغلق(ص ح ص).

وربما كان السبب في هذا التحوّل هو إرادة اليسر والسهولة ، فقد سبق أن اللهجات الحديثة والعاميّة تميل إلى التخلص من علامتي التأنيث الممدودة والمقصورة؛ رغبة في التيسير والاكتفاء بعلامة واحدة لجميع أنواع المؤنث هي تاء التأنيث، بالإضافة إلى أن العامّة قد استثقلت هذه الصيغة واستخفت الصيغة المحوّل إليها.

(١) ينظر: العامي الفصيح ١٢، ١٤، ٢٧، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٨٠، ٨٩، ٩٤، ١٠٤، ١١٦، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٣، ١٥١، ١٦١، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفاء، وبعد

فبعد هذه الرحلة الشاقة الشائقة مع معجم العامي الفصيح لدراسة التحوّل الصوتي فيه عن الفصحى، يمكن استنتاج ما يلي:

- **ما يتعلق بعنوان المعجم" العامي الفصيح في المعجم الوسيط" كان ينبغي اقتصاره على ما اتفقت فيه الفصحى والعاميّة في جميع مستويات اللغة، دون أي تحوّل أو تغيير في أي جانب من جوانبها؛ حتى يكون عنوان المعجم متناسبًا مع ما يندرج تحته.**
- **ظهر بعد قراءة العامي الفصيح أن صاحبه كان يقصد بالعامي عاميّة المثقفين والخبراء، ولا يمكن بحال أن يكون المراد بالعاميّة عاميّة الأشخاص العاديين الذين يمكن مقابلتهم بالخاصّة، وقد ذكرت أدلة لذلك في المبحث التمهيدي.**
- **دراسة العاميّة مهمة ومفيدة في تحليل الظواهر اللغوية في الفصحى؛ لإدراك العلاقة بين الفصحى والعاميّة إدراكًا يرد الفرع إلى أصله، والمغترب إلى موطنه.**
- **تزاوج العاميّة بين اختيارها للكسر أو الضم، فهي تختار الكسر الأقل ثقلًا من الضم الأثقل حين تختاره الفصحى، عملًا بمبدأ السهولة والتيسير، حيث تنشد العاميّة الحركة الأخف، و ذكر صاحب العامي الفصيح في موضع، ميل العاميّة إلى اختيار الحركة الأخف في كلمة (كفة) فهي في الفصحى بضم الكاف وبكسرها، فاختارت العاميّة فيها الفتح ميلًا إلى اخف الحركات، وقد تختار العاميّة الحركة الأثقل وهي الضم في مقابل الكسر الأقل ثقلًا في الفصحى؛ لداع كشهرة صيغة ، أو لتناسب الحركة القوية الصوت القوي المشتمل على صفات كالإطباق أو الاستعلاء والتفخيم، وربما كانت العاميّة في اختيارها للضم امتدادا للبيئة البدوية القديمة التي تختار الضم.**
- **وحين يكون الاختيار بين الفتح والضم، تختار العاميّة الفتح لخفته**

في مقابل الضم الأثقل في الفصحى، وقد تجنح العاميّة للضم الأثقل لشهرة الصيغة المشتملة على الضم، أو لمراعاة التجانس الصوتي كما في(قَوم وَصوم) بفتح الأول فيهما في الفصحى وضمهما في العاميّة لمناسبة الواو.

❁ وحين يكون الاختيار بين الفتح والكسر، تختار العاميّة الفتح لخفته في مقابل الكسر في الفصحى، وتجنح أحيانًا العاميّة إلى الكسر لتناسب الكسرة الياء كما في (رِيع وبِيت) تنطقها العامة بكسر الأول، وهذا امتداد للغة جيدة أشار إليها سيبويه، وأشار إلى نحو ذلك الزبيدي في لحن العوام، وقد تختار العاميّة الكسر لشهرة صيغة كما في كلمة (الحِتة) أو لأمن اللبس ككسر واو(وزه) وجمعها(وز) حتى لا يلتبس المفرد بالفعل المسند إلى العائب(وَزَّه) المحرّف عن (وعزه) بمعنى سلّطه وأمره.

❁ تتأثر الحركة في العاميّة بالحركة المماثلة لها ضمة أو فتحة أو كسرة تأثرًا تقدميًّا أو رجعيًّا، ومما نجم عن هذا التأثر في العاميّة أن صيغة الماضي (فَعِل) بفتح الأول وكسر الثاني قد اختفت منها تمامًا، فهي أحالتها إلى (فِعِل) بكسر الاول والثاني؛ لتأثر الأول بالثاني، أو إلى (فَعَل) بفتحهما، لتأثر الثاني بالأول، وقد ظهر ذلك في عديد من الأمثلة.

❁ مالت العاميّة المصرية إلى كسر أحرف المضارعة؛ تأثر باللهجة القديمة التي عُرفت بتلتلة بهراء، وظهر من خلال الدراسة ميل العاميّة إلى كسر ياء المضارعة ؛ تجانسًا بين الكسرة والياء.

❁ مالت العاميّة إلى حذف حركة الصوت المحرّك بالفتح، رغم أن الأقدمين لا يعدّونه تخفيفًا لخفة الفتحة، والخفيف لا يخفف، وما كان ذلك من العاميّة إلا لإيمانها بأن السكون أخف من الحركة، وهو ما ارتضاه بعض الباحثين.

❁ حَذْف الحركة في العاميّة بصفة عامة أثر من آثار البيئة البدوية التي تحتاج إلى وقفات تُحدّ من سرعتها في الكلام وتكبح جماحها.

❁ نهجت العاميّة المصرية نهج بعض اللهجات العربية القديمة في التخلّص من الهمزة بتخفيفها أحيانًا، وخالفتها في طريقة تخفيف الهمزة

أحيانًا أخرى، فمما وافقت فيه العاميّة اللهجات القديمة في طرق تخفيف الهمزة: التخلّص من الهمزة بإبدالها حرف مد مجانس لما قبلها، وحذفها بعد نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها، وإبدال الهمزة ياء لتحركها بعد ياء، ولفتحها بعد كسر، ومما خالفت فيه العاميّة اللهجات العربية القديمة في التخلّص من الهمزة: التخلص من الهمزة في اسم الفاعل من الفعل الأجوف، التخلّص من الهمزة الواقعة طرفًا بعد ألف زائدة، التخلّص من الهمزة في بعض صيغ الجموع مما كان على فعائل أو شبهه، إبدال الهمزة المكسورة وقبلها فتحة ياء في العاميّة، ولكنها في اللهجات العربية القديمة تخفف بأن تجعل بين بين، وليس من داع لتخلّص العاميّة من الهمزة سوى صعوبتها، فتخلصوا منها عملًا بنظرية السهولة والتيسير، التي تتخلص من الأصوات العسيرة التي تتطلب جهدًا عضليًّا كبيرًا، باستبدالها بأصوات تتطلب جهدًا أقل.

❁ في تحوّل الأصوات الصامتة بصفة عامة من صوت إلى آخر ينتقل مخرج الصوت المحوّل إلى مخرج الصوت المحوّل إليه أحيانًا إلى الأمام، وأحيانا إلى الخلف، وذكر البحث أمثلة عديدة للانتقالين.

❁ في تحوّل القاف إلى الكاف أو الهمزة أو الجيم القاهرية تخفيف من الجهد العضلي المبذول في نطق القاف؛ حيث الصوت المستعلى المفخم أُبدل بأصوات مستفلة مرققة هي أيسر في النطق، وفنّد البحث كثيرا مما ذهب إليه المحدثون في تحوّل القاف إلى الهمزة عند أهل القاهرة، وارتضى البحث التعليل لذلك بالتخلّص من صوت القاف المستعلي المفخم.

❁ ردّ البحث على من زعم أن قلب القاف همزة لا أصل له في التراث العربي، وأتى بنماذج تؤيد وروده.

❁ في الأصوات الشجرية، فُسّر تحوّل الجيم إلى الدال أو الجيم القاهرية بانحلال الجيم المركبة إلى أحد عنصريها المكوّنين لها، على خلاف في تفسير تحليل الباحثين لعنصري الجيم، وهما عند بعضهم الدال عند أهل الصعيد، والشين المجهورة التي تعرف عند أهل الشام بالجيم الشامية، وعند بعضهم الآخر صوت قريب من الجيم القاهرية، والثاني يشبه الجيم الشامية،

وتحوّل الجيم إلى الدال وارد في اللهجات العربية القديمة، وفي العاميّات القديمة كما ذكر الزُبيدي.

❁ وفسّر تحوّل الشين إلى السين في اللهجات القديمة والحديثة والعامية أيضًا، بالإضافة إلى العلاقة بين الصوتين، بوجود تداخل بسبب احتمال وجود صوت ثالث غير الشين والسين، وهو صوت ثالث بين السين والشين في الساميات.

❁ في الأصوات الأسلية فُسّر تحوّل الصاد إلى السين وفق نظرية السهولة والتيسير، فالسين أخف من الصاد، فالصاد صوت مطبق مستعل مفخم، والسين منفتح مستفل مرقق.

❁ في الأصوات النطعية، تحوّلت الدال إلى الضاد الحديثة؛ لتقاربها منها، فلا فرق بينهما إلا في إطباق الضاد، وتحولّت الدال المجهورة إلى الطاء المهموسة عند المحدثين؛ لأن النطق بالمهموس أخف من المجهور، وبقاء الإطباق في الدال من آثار البيئات البدوية القديمة، وفي تحوّل التاء إلى الدال ميل من العاميّة إلى صوت الدال المجهور، ولا تفسير لذلك إلا رغبة العاميّة في وضوح بعض الأصوات فتجنح إلى جهرها، وفي تحوّل الطاء إلى التاء تخلّص من الصوت المطبق المفخم واستبداله بصوت منفتح مرقق هو التاء.

❁ فسر تحوّل الأصوات الأسنانية إلى أصوات أخرى وفق نظرية السهولة والتيسير، وما كان ذلك إلا لصعوبة هذه الأصوات وكونها عسيرة في إخراجها، فاستُبدلت بأصوات أيسر وأسهل منها، كما أن في تحوّل الثاء إلى التاء أو السين في اللهجات القديمة والحديثة والعاميّة تأثرًا بالساميات، فالثاء في الآرامية تنطق تاء، وفي الآرامية تنطق سينا.

❁ لعبت المماثلة الصوتية دورا كبيرًا في تحوّلات بعض الأصوات في العاميّة عن الفصحى، ومن ذلك تحوّل الحاء إلى العين في (دحمس) حيث ينطقها العوام (دعمس) وهو تحوّل من الحاء المهموسة إلى العين المجهورة؛ تأثرًا بالدال المجهورة قبلها تأثرًا تقدميًّا، أو رجعيًّا في تحوّل الخاء إلى الغين

في (خفير) وتحوّلها إلى (غفير) تأثرًا بالراء المجهورة في نهاية الكلمة، ولا مانع من القول بأن الميل للصوت المجهور أثر من آثار البيئة البدوية التي تفضّل الأصوات المجهورة؛ لوضوحها وقرعها الشديد للأذن عند سماعها، وكذلك في تحوّل السين المهموسة إلى الزاي في (الفستق) حيث نطقتها العاميّة(الفزدق) فجهر بالسين، فتحوّلت إلى زاي، وذلك بعد جهر التاء وتحوّلها إلى الدال لتناسب الزاي في الجهر، وهو من التأثر الرجعي أيضًا، فيكون النطق بصوتين متماثلين في الجهر هما الزاي والدال أسهل من النطق بصوتين مختلفين، وتأثرت السين بصوت الإطباق والاستعلاء الطاء، فتحوّلت إلى صاد في نحو(الإسطبل وسوط) حيث تنطقهما العامّة بالصاد،حتى لا يقع تصعد بالطاء بعد تسفل بالسين وهو مستثقل.

❁ أيّد الباحث وجهة نظر أحد المحدثين في عدم اشتمال الكلمة التي تبدل فيها السين صادا على صوت الاستعلاء، فقد وردت أمثلة عديدة في كتب التراث – أشار البحث إلى بعضها– أبدلت فيها السين صادًا من دون اشتمال الكلمة على صوت من أصوات الاستعلاء، كما جاءت أمثلة في العامي الفصيح تؤيد ذلك نبّه البحث عليها.

❁ لم أعثر في العامي الفصيح على مثال واحد لإدغام المثلين.

❁ أدغمت التاء في الدال في العاميّة في كلمة(مُتَدأْدِأ) حيث ينطقها العامّة (مِدَأْدِأ)، وإدغام التاء في الدال وارد في فصيح كلام العرب، ومنه (وَتِد) عند الحجازين يدغمها التميميون فتصبح(وَدّ)، ولكن أهل التجويد ذكروا أن التاء تدغم في عشرة أصوات ليس من بينها الدال.

❁ إن إدغام المتقاربين لم يقع في الفصحى إلا في كلمتين، ولم يأت في كلمة واحدة إلا في حال إدغام القاف في الكاف نحو (خلقكم) ورزقكم)، أما في العاميّة فقد ورد إدغام المتقاربين في كلمة واحدة مما يعدّ تحوّلاً وانحرافًا عن الفصحى، ومنه إدغام التاء في الجيم في(مُتَجَبّر) حيث نطقها العامة (مِجّبّر) بإدغام التاء في الجيم، وكذا ورد في أصوات وأمثلة أخرى في كلمة واحدة.

❁ وفي المخالفة أبدلت العاميّة – تأثرًا باللهجات العربية القديمة – أحد المضعفين صوت لين أو صوتًا شبيهًا به كاللام؛ تحقيقًا لليسر والسهولة في النطق.

❁ أيّد البحث قول المُحْدَثين إن المخالفة تحدث بصورة أقل من المماثلة، فأمثلة المماثلة في البحث أكثر من المخالفة.

❁ وفي التحوّل المقطعي كان للعمل بمبدأ السهولة والتيسير أثر كبير في هذا التحوّل المقطعي، ومن ذلك مثلًا كان لثقل الصيغة وقلة استعمالها أثر كبير في بعض التحوّلات المقطعية، فمثلا اختارت العاميّة الصيغة الأخف؛ حيث كان لها أثر في نقص عدد المقاطع كما في (مُحَاوَطهْ) وتحوّلها في العامّة إلى (مُحَوْطَهْ) وكذا في اندماج مقطعين صغيرين في مقطع متوسط مفتوح عند حذف نواة أحد المقاطع القصيرة المفتوحة، وكذا في التخلّص من ألف فاعل للمؤنثة كما في (حاميهْ) وتحوّلها إلى(حَمْيَهْ)، وكذا في زيادة مقطع على مقاطع الكلمة، كما (حِرْباءْ) وتحوّلها في العاميّة إلى (حِرْبايهْ) و(مُفْلِسْ) إلى (مِفَلّسْ)، وفي زيادة مقطعين على مقاطع الكلمة كما في تحوّل(جِلْبابْ) إلى (جَلابيّهْ)، وكذا في تحوّل المقطعين المكوّنين للكلمة، كما في كلمة(رئيسْ) التي زاد وجود الهمزة من صعوبتها وتحوّلها إلى(ريِّسْ) في العاميّة، وكذا في تحوّل مقطعين فقط من مقاطع الكلمة، كما في تحوّل(حِدَاَهْ) إلى (حِدّايَهْ)، وكذا في التحوّل من مقطع متوسط مفتوح إلى متوسط مغلق، كما في تحوّل (مثْوى) إلى (مَثْوَهْ)، حيث استُبدلت الألف المقصورة بتاء التأنيث التي تنطق في الوقف هاء، وهو نهج قديم كما ورد عن الزُبيدي ، وكذا في التحوّل من متوسط مغلق إلى قصير مفتوح، كما تفضيل العاميّة للصيغة المجردة في (قَفْلْ) و(عَطَا) وتحوّلهما عن(أقْفَلْ) و(أعْطَى)، ولا شك أن الصيغة المجردة أخف في النطق من المزيدة، وكذا في التحوّل من متوسط مغلق إلى متوسط مفتوح، كما في كلمات نحو(الخلاء والحفاء) وتحولّها في العاميّة إلى (الخلا والحفا)، وكذا في التحوّل من طويل مغلق إلى متوسط مغلق، كما في تحوّل نحو (جَرْباءْ) و(حِنّاء) إلى (جَرْبَهْ) و(

حِنّهْ).

❁ كان نبر المقطع بغرض إبرازه وزيادة ووضوحه أثر كبير في تحوّل بعض المقاطع في العاميّة، ومن ذلك أثره في التحوّل من مقطع قصير مفتوح إلى متوسط مفتوح، كما في تحوّل نحو(رَجُلْ) و(فَشِلْ) إلى (راجِلْ) و(فَاشِل)؛ حيث طال الصائت القصير بسبب نبر المقطع، وكان للنبر أثره أيضًا في التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مغلق، كما في بعض الكلمات التي غيّرتها العاميّة بسكون أولها واجتلاب همزة الوصل لإمكان النطق بها ، كما في نحو(مُحابي) و(تَحَبّبَ) وتحوّلهما إلى (امْحَابِي) و(امْحَبّبْ) عند أهل الصعيد، وربما كان للنبر أثره في التحوّل من متوسط مغلق إلى طويل مغلق، كما حدث في كلمة(الصّيّتْ) وتحوّلها في العاميّة إلى (الصّيّيتْ)، وكذا في نطق الفعل الأمر من الأجوف بعد حذف عينه، كما في الفعل (فُتْ) حيث تنطقه العامّة (فُوتْ).

❁ ظهر من خلال التحوّل المقطعي أن صعوبة الانتقال من فتح إلى كسر ربما تكون سببًا في تحوّل المقطعين المكوّنين للكلمة أحيانًا، كما في كلمة (مَصِيفْ) التي آلت إلى(مَصْيَفْ) في العاميّة، والانتقال من الفتح إلى ما هو أخف منه وهو السكون، أسهل من الانتقال من فتح خفيف إلى كسر أثقل.

❁ ربما كان السبب في التحوّل المقطعي في العاميّة هو خوف اللبس بكلمة أخرى، وظهر ذلك في التحوّل من مقطع قصير مفتوح إلى متوسط مغلق، كما في كلمة(عِلاقَهْ) لما يُعلّق فيه السيف ونحوه ؛ حيث ينطقها العامّة بتشديد اللام (عِلَّاقَهْ)، فربما التبست الكلمة المخففة عند العامّة بكلمة(عِلاقَة) التي تعني أي نوع من العلاقات كالاجتماعية والسياسية ونحوها.

❁ وأخيرًا في توصية لأبناء العربية والباحثين والدارسين على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم، أقول لهم فيها: لا بدّ من ردّ الألفاظ العاميّة إلى الفصيحة، وذلك بتحقيق أصواتها، وتعديل أبنيتها، وتفصيح تراكيب جملها؛

حتى لا تزيد الفجوة بين الفصحى والعاميّة.

وفي نهاية عرضي لهذا البحث لا يسعني إلا أن أقول: إني قد بذلت فيه جهدي، فإن كتب الله لي التوفيق فهو منه سبحانه، وإن كانت الأخرى فحسبي أنها محاولة في درب العلم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على نبينا الهادي وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١- العامي الفصيح في المعجم الوسيط للدكتور أمين علي السيد، مجمع اللغة العربية، إدارة التحرير والشؤون الثقافية، الطبعة الأولي ٢٠٠٥-٢٠٠٦هـ.

٢- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

ثانيا : المراجع

٣- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٤ - الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى تحقيق / عز الدين التنوخى ، دار صادر ط ثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٣م.

٥- أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د/ عبد الغفار هلال ، دار الطباعة المحمدية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٦- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبنا الدمياطي، تحقيق/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

٧- أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى د/ عبد الصبور شاهين، الخانجى ط أولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٨- إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة١٩٣٧م

٩- أدب الكتاب لأبي بكر الصولي نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه/ محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية - بمصر، المكتبة العربية - ببغداد، عام النشر ١٣٤١هـ

١٠- إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

١١- أصوات العربية بين التحول والإثبات، د/ حسام النعيمي، جامعة بغداد،

سلسلة بيت الحكمة.
١٢- الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى، عبدالمعطي نمر موسى، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
١٣- أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال ، وهبة ط ثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م
١٤- أصوات اللغة العربية د/ عيد الطيب ط الأمانة ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.
١٥- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس، نهضة مصر.
١٦- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، وضع حواشيه وعلق عليه/ عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٧- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب لابن السيد البطليوسى تحقيق مصطفى السقا، د/ حامد عبد المجيد .
١٨- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ هـ.
١٩- بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبدالتواب، الخانجي بالقاهرة، والرفاعي بالرياض.
٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.
٢٢- تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، تحقيق/ عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٣- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، د/شوقي ضيف، دار المعارف.
٢٤- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د/حسن هنداوي، دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء:

دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى.
٢٥- التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٢٦- التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د/ رمضان عبد التواب الخانجى ط ثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .
٢٧- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، صححه د/ رمضان عبدالتواب، الخانجي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٢٨- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، د/ آمنة صالح الزعبي، دار الكتاب الثقافي، الأردن٢٠٠٨م.
٢٩- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. ٣٠- تقويم كلية دار العلوم، الجزء الثاني، إعداد/ لجنة التقويم، الطبعة الثانية. ٣١- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق/الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٢- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .
٣٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، شرح وتحقيق د/ عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٣٤- جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
٣٥- الحركات العربية فى ضوء علم اللغة لحديث د/ الموافى الرفاعى البيلى ، ط أولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٣٦- الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة
٣٧- خصائص اللهجة الحلِيَّة، د/ أسعد محمد علي النجار، مركز بابل

للدراسات الحضارية.
٣٨- دراسات في علم الصوتيات للدكتور أبي السعود الفخراني، مكتبة المتنبي الدمام.
٣٩- دراسات فى فقه اللغة، د/ محمد الأنطاكى ، دار الشروق العربى ط رابعة
٤٠- دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤١- دراسة اللهجات العربية القديمة د/ داود سلوم ، المكتبة العلمية ، ط أولى ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م .
٤٢- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق/ عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨/١٩٩٨م.
٤٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق/ الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٤٤- الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي، تحقيق د/ محمد بن عبد الله القناص، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٤٥- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق الشيخ محمد حسن أل ياسين، دار ومكتبة الهلال ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٤٦- ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس تحقيق/ عبدالعزيز الميمني، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.
٤٧- رسالتان في المعرّب لابن كمال والمنشي، تحقيق د/ سليمان العايد، جامعة أم القرى.
٤٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٤٩- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري، تحقيق/ د. حاتم

صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
٥٠- سر صناعة الإعراب لابن جني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
٥١- سفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي، تحقيق د/ محمد أحمد الدالي، قدم له د/ شاكر الفحام، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٥٢- شذا العرف في فن الصرف للحملاوي، تحقيق/ نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض.
٥٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨هـ.
٥٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه منحة الجليل للشيخ/ محمد محي الدين، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥٥- شرح شافية ابن الحاجب للرضي الإستراباذي، تحقيق/محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
٥٦- شرح المفصل لابن يعيش، قدم له/ الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٥٧- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٥٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
٥٩- صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٦٠- صحيح مسلم ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت
٦١- العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، هنري فليش، تعريب د/عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب.
٦٢- العربية وعلم اللغة الحديث ، د/ محمد محمد داود، دار غريب.
٦٣- العلائق الإيجابية بين الفصحى والعاميّة ضمن كتاب محاضرات في اللغة العربية للدكتور سليمان العايد، مكتبة الرشد الرياض.
٦٤-علم الأصوات د/ كمال بشر، دار غريب.
٦٥- علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين ط أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٦٦- علم اللغة، د/علي عبدالواحد وافي، المطبعة السلفية١٣٦٠هـ-١٩٤١م.
٦٧- علم اللغة العام، القسم الثانى الأصوات، د/ كمال بشر دار المعارف.
٦٨- عن علم التجويد القرآنى فى ضوء الدراسات الصوتية د/ عبد العزيز علام ط أولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٦٩- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق/ د. محمد عبدالمعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٧٠- غريب الحديث للخطابي، تحقيق/ عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه/ عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، الطبعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٧١- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، تحقيق/ علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة لبنان، الطبعة الثانية.
٧٢- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧٣- في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس، الأنجلو، الطلعة الثامنة١٩٩٠م.
٧٤- قاموس رد العامي إلى الفصيح، للشيخ أحمد رضا، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٧٥- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٦- القلب والإبدال لابن السكيت ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي لابن السكيت، تحقيق/أوغست هفنر، مكتبة المتنبي – القاهرة.
٧٧- كتاب الإبدال لابن السكيت تحقيق حسين محمد شرف، على النجدى ناصف، المطابع الأميرية١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٧٨- كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى تحقيق/ عز الدين التنوخى، دمشق١٣٨٠هـ ١٩٦١م
٧٩- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير، دار العرب للبستاني، الطبعة الثانية١٩٧٨- ١٩٨٨م.
٨٠- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
٨١- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د / مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٨٢- الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٨٣- كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون، تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.
٨٤- لحن العامة والتطور اللغوي، د/ رمضان عبدالتواب، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الثانية٢٠٠٠م.
٨٥- لحن العوام، لأبي الزبيدي، تحقيق د/ رمضان عبدالتواب، الخانجي

١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٨٦- لسان العرب لابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.
٨٧- لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحى عبد الباقى الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٨٨- لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر، د/ عيد الطيب،١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٨٩- اللهجات العربية فى التراث د/ أحمد علم الجندى، الدار العربية للكتاب.
٩٠- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية د/ عبده الراجحى ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥م.
٩١- اللهجات العربية نشأة وتطوراً د/ عبد الغفار هلال، مكتبة وهبة الطبعة الثانية١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٩٢- اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية،/ صالحة راشد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، دار المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٩٣- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د/ غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالعراق.
٩٤- مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب، تحقيق/ عبدالسلام هارون، دار المعارف.
٩٥- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٩٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٩٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية الأندلسي، تحقيق/عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ.
٩٨- المحكم في أصول الكلمات العامية، د/ أحمد عيسى بك، مطبعة مصطفى الحلبي١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٩٩- مختار الصحاح، للرازي، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٠٠- مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبي القاهرة.
١٠١- المخصص لابن سيده، تحقيق/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٠٢- المدخل إلى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي، تحقيق د/ حاتم الضامن، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الاولى١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٠٣- مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر.
١٠٤- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/ رمضان عبدالتواب، الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١٠٥- المدخل في علم الأصوات المقارن، د/ صلاح حسنين، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥- ٢٠٠٦م .
١٠٦- المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
١٠٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
١٠٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
١٠٩- مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب.
١١٠- مشكلة الهمزة العربية، د/ رمضان عبدالتواب، الخانجي، الطبعة

الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١١١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
١١٢- معاني القرآن للأخفش، تحقيق/ الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.
١١٣- المعجم العربي بين الماضي والحاضر، د/ عدنان الخطيب، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
١١٤- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
١١٥- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار الكتب، الطبعة الثانية١٣٦٩هـ- ١٩٦٩م.
١١٦- المقتضب للمبرد، تحقيق/محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت.
١١٧- مقدمة فى أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآنى د/ عبدالفتاح البركاوى ط ثانية ١٩٩٤م .
١١٨- الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
١١٩- مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، مكتبة النسر للطباعة.
١٢٠- المنهج الصوتي للبنية العربية، د/ عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .
١٢١- موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، الأنجلو، الطبعة الثانية ١٩٥٢م
١٢٢- النشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق/ علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
١٢٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ –

١٩٧٩م.
١٢٤- نهاية القول المفيد في علم التجويد، للشيخ محمد مكي نصر، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .
١٢٥- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق د/ محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
ثالثا: الرسائل العلمية
١٢٦- إبدال الحروف في اللهجات العربية ، ماجستير للباحث سلمان السحيمي، الجامعة الإسلامية عام١٤٠٧هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٢٧- أثر الحركات في اللغة العربة دراسة في الصوت والبنية، رسالة دكتوراه للباحث علي عبدالله القرني، جامعة أم القرى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٢٨- الظواهر اللغوية في الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها للشيرازي المعروف بان أبي مريم، رسالة دكتوراه للباحث، مودعة في كلية اللغة العربية بالزقازيق ٢٠٠٦م.
١٢٩- مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل، ماجستير للباحث/ رحمون حكيم، جامعة مولود معمري، الجزائر.
١٣٠- المعجم العربي الحديث بين التقليد والتجديد، المعجم الوسيط نموذجًا، ماجستير للباحثة/ حياة لشهب، جامعة فرحات عباس، الجزائر.
رابعا: المجلات والدوريات
١٣١- مجلة آداب ذي قار، العدد الثاني، المجلدالأول، كانون الثاني ٢٠١٠، بحث بعنوان"انكماش أصوات المد الطويلة في العربية المواقع والأسباب د/صيوان خضير خلف، والعدد الثالث، المجلد الأول، آيار ٢٠١١، بحث بعنوان "صوت القاف في لهجة مدينة الناصرية" د. يعرب مجيد، د. رافد مطشر.
١٣٢- مجلة جامعة الأنبار للعلوم واللغات العدد الثالث لسنة ٢٠١٠، بحث

بعنوان" الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه للدكتور عبدالجبار العبيدي.
١٣٣- مجلة جزيرة العرب المجلد الخامس، الجزء الأول سنة٢٠١٣، بحث بعنوان" أوزان المضارع في اللغة العامية المصرية دراسة وصفية تحليلية" زعيمة السعدية.
١٣٤- مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الرابع والثلاثين، العدد الأول، عام٢٠٠٧م، تصدرها عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، بحث بعنوان "الازدواجية والخطأ اللغوي/ حنان إسماعيل عمايرة.
١٣٥- مجلة ديالي، بحث بعنوان" صوت القاف قديمًا وحديثًا" د/ إبراهيم رحمن حميد، العدد التاسع عشر.
١٣٦- مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العد السادس والعشرون الجزء الخامس١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م بحث للدكتور عبدالهادي السلمون بعنوان" اللهجات العربية في مجالس ثعلب".
١٣٧- مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الثامن لسنة١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، بحث للدكتور محمد أحمد خاطر بعنوان" إتباع الحركة في القراءات".
١٣٨- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثامن والثلاثين الجزء الأول، مقالة للدكتور عدنان الخطيب بعنوان" المعجم الوسيط" سنة١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.
١٣٩- مجلة مجمع فؤاد الأول الجزء الخامس لسنة ١٩٤٨م، تقرير في شأن المعجم اللغوي الوسيط وقرار للمجمع بإنشائه، طبع دار الكتب المصرية.
١٤٠- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد العاشر١٩٥٨م مطبعة التحرير، بحث بعنوان""صيغ الاسم الثلاثي المجرد" للدكتور إبراهيم أنيس، والعدد التسعين سنة ٢٠٠٠م، بحث بعنوان" الفصحى والعامية العامية اليافاوية تأملات وتساؤلات" للدكتور أحمد صدقي الدجاني ألقى هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم

السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م، والعدد الواحد والتسعين، بحث بعنوان" العاميّة فصحى محرّفة" للدكتور شوقي ضيف.

١٤١- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الثالث، القسم الرسمي، قرار وضع المعجم اللغوي الوسيط سنة ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م.

١٤٢- وَقائَع مُؤتَمر مَجمع اللُّغَة العربيَّة بالقاهرة في الدَّوْرَة السَّادسَة والخمسين ١٩٩٠إعداد الدكتور عدنان الخطيب حديث بعنوان "العامي الفصيح وحاجته إلى معجم يرده إلى أصوله" أعدّه وألقاه الشيخ الدكتور محمد نايل.

فهرس الموضوعات

الموضــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢١٢١
تمهيد: المعجم الوسيط والعامي الفصيح، ويشمل:	٢١٢٥
توطئة: مجمع اللغة العربية وإصدار المعجم الوسيط	٢١٢٥
القسم الأول: مؤلف العامي الفصيح	٢١٢٦
القسم الثاني: العامي الفصيح في المعجم الوسيط، ويشمل	٢١٢٧
بداية التفكير في المعجم عند المؤلف	٢١٢٧
هدف معجم العامي الفصيح في المعجم الوسيط	٢١٢٨
إصدار العامي الفصيح في المعجم الوسيط	٢١٢٩
العامي الفصيح في المعجم الوسيط عرض و دراسة، ويشمل:	٢١٣٠
بين العامي والفصيح	٢١٣٠
مراد صاحب المعجم من العامي في قوله: العامي الفصيح	٢١٣٣
الحاجة إلى دراسة العاميات والإفادة منها	٢١٣٦
العامي الفصيح عرض وتقويم	٢١٣٧
المبحث الأول: التحوّل الصوتي في الصوائت، ويشمل:	٢١٤٥
الصوائت بين الثقل والخفة	٢١٤٥
الضم في الفصحى والكسر في العامية	٢١٤٧
الكسر في الفصحى والضم في العامية	٢١٤٧
الضم في الفصحى والفتح في العامية	٢١٥٠
الفتح في الفصحى والضم في العامية	٢١٥٠
الكسر في الفصحى والفتح في العامية	٢١٥٢
الفتح في الفصحى والكسر في العامية	٢١٥٤
التحوّل إلى حركة مماثلة سابقة أو لاحقة، ويشمل:	٢١٥٦
التحوّل إلى الكسر	٢١٥٧

الموضــوع	رقم الصفحة
التحوّل إلى الضم	٢١٦٠
التحوّل إلى الفتح	٢١٦١
كسر أحرف المضارع	٢١٦٢
حذف الحركة	٢١٦٦
المبحث الثاني: التحوّل في الصوامت، ويشمل	٢١٧١
تحوّل الأصوات الحلقية، ويشمل:	٢١٧١
تحوّل الهمزة، ويشمل:	٢١٧١
تخلّص العامية من الهمزة في اسم الفاعل من الفعل الأجوف	٢١٧٢
تخلّص العامية من الهمزة الواقعة طرفًا	٢١٧٣
تخلّص العامية من الهمزة في بعض صيغ الجموع	٢١٧٤
إبدال العامية الهمزة إلى حرف مدّ مجانس لما قبلها	٢١٧٥
التخلّص من الهمزة في العامية بالحذف	٢١٧٨
إبدال الهمزة ياء	٢١٧٩
تحوّل الأصوات اللهوية، ويشمل:	٢١٨١
تحوّل القاف إلى الكاف	٢١٨٢
تحوّل القاف إلى الهمزة	٢١٨٤
تحوّل القاف إلى الجيم القاهرية	٢١٨٧
تحوّل الأصوات الشجرية، ويشمل:	٢١٩٠
تحوّل الجيم إلى الدال عند بعض أهل الصعيد	٢١٩٠
تحوّل الشين إلى السين	٢١٩٢
تحوّل الأصوات الأسلية، ويشمل:	٢١٩٥
تحوّل الصاد إلى السين	٢١٩٥
تحوّل الأصوات النطعية، ويشمل:	٢١٩٦
تحوّل الدال إلى الضاد الحديثة	٢١٩٧

الموضــوع	رقم الصفحة
تحوّل الدال إلى الطاء	٢١٩٧
تحوّل التاء إلى الدال	٢١٩٩
تحوّل الطاء إلى التاء	٢٢٠٠
تحوّل الأصوات اللثوية أو الأسنانية، ويشمل:	٢٢٠١
تحوّل الثاء: ١ – إلى التاء	٢٢٠٢
٢– إلى السين	٢٢٠٤
تحوّل الذال: ١– إلى الدال	٢٢٠٥
٢–إلى الزاي	٢٢٠٨
تحوّل الظاء إلى:	٢٢٠٩
صوت كالزاي المفخمة	٢٢٠٩
إلى الضاد الحديثة	٢٢١٠
المماثلة الصوتية، وتشمل:	٢٢١٣
ا– تحوّل الحاء إلى العين تأثرا بالدال قبلها	٢٢١٣
ب– تحوّل الخاء إلى الغين تأثرًا بالراء بعدها	٢٢١٥
ج– تحوّل السين إلى الزاي للتأثر بما بعدها	٢٢١٧
د– تحوّل السين إلى الصاد للتأثر بصوت الإطباق بعدها	٢٢١٨
الإدغام، ويشمل:	٢٢٢١
توطئة – أهميته – تعريفه– أنواعه	٢٢٢١
العلاقة بين المماثلة والإدغام	٢٢٢٣
الإدغام في العامي الفصيح، ويشمل:	٢٢٢٣
إدغام المتجانسين، ويشمل:	٢٢٢٣
ا– إدغام التاء في الدال	٢٢٢٣
ب– إدغام التاء في الطاء	٢٢٢٤
إدغام المتقاربين، ويشمل:	٢٢٢٥

الموضــوع	رقم الصفحة
ا- إدغام التاء في الجيم	٢٢٢٥
ب- إدغام التاء في الشين	٢٢٢٦
المخالفة الصوتية، ويشمل:	٢٢٢٧
المخالفة بين المضعفين بإبدال أحدهما لينا أو شبيها باللين	٢٢٢٨
المبحث الثالث: التحول المقطعي، ويشمل:	٢٢٣٠
توطئة: المقطع – تعريفه- أهميته- أنواعه	٢٢٣٠
التحوّل المقطعي في العامي الفصيح، ويشمل:	٢٢٣٣
أولا: نقص عدد المقاطع مع التغيير في أنواع بعض الباقي منها، ويشمل:	٢٢٢٣
ا- كلمات أدّى تحوّلها في العامية إلى نقص عدد المقاطع مع تغيير في بعضها	٢٢٢٣
ب- اندماج المقطع القصير المفتوح في مثله ليصبحا واحدا من المتوسط المغلق	٢٢٣٤
ثانيا: الزيادة في عدد المقاطع، ويشمل:	٢٢٣٥
ا- زيادة مقطع على مقاطع الكلمة	٢٢٣٥
ب- زيادة مقطعين مع تغيير في بعض الباقي	٢٢٣٥
ثالثا: التحول في مقاطع الكلمة، ويشمل:	٢٢٣٦
ا- تحوّل مقطعي الكلمة المكونين لها	٢٢٣٦
ب- تحول في مقطعين فقط من مقاطع الكلمة	٢٢٣٦
ج – التحوّل في مقطع واحد فقط من مقاطع الكلمة، ويشمل:	٢٢٣٧
التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مفتوح	٢٢٣٧
التحوّل من قصير مفتوح إلى متوسط مغلق	٢٢٣٧
التحوّل من متوسط مفتوح إلى متوسط مغلق	٢٢٣٩
التحول من متوسط مغلق إلى قصير مفتوح	٢٢٣٩

الموضــوع	رقم الصفحة
التحوّل من متوسط مغلق إلى طويل مغلق	**٢٢٤٠**
التحوّل من طويل مغلق إلى متوسط مفتوح	**٢٢٤١**
التحوّل من طويل مغلق إلى متوسط مغلق	**٢٢٤١**
الخاتمة	**٢٢٤٣**
فهرس المصادر والمراجع	**٢٢٥١**
فهرس الموضوعات	**٢٢٦٤**

تم بحمد الله تعالى